روائع المسرح العالمى
٢٢

دون جوان

تأليف موليير
ترجمة إدوار ميخائيل
مراجعة فتوح نشاطى
مراجعة وتقديم نبيل الألفى

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
[illegible]

روائع المسرح العالمى

٢٢

دون جوان

تأليف

موليير

ترجمة
إدوار ميخائيل

مراجعة
فتوح نشاطى

مراجعة وتقديم
نبيل الألفى

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

هذه ترجمة كاملة لمسرحية

DOM JUAN

par

Molière

مقدمة

انتشرت أسطورة دون چوان فى القرن السابع عشر ، وامتدت شهرتها مسرحيا من بلد إلى بلد . . . فقد جمع المؤلف الأسبانى « تيرسو دى مولينا — Tirso de Molina » خيوط الأسطورة قبيل بداية القرن ، ووضعها فى قالب مأساة مسرحية . ثم انتقلت القصة من أسبانيا إلى إيطاليا ؛ وهناك تعددت ملامحها وقسماتها : فصاغها « سيكونينى — Cicognini » مسرحية يمتزج فيها الهزل بفظاعة القتل ، ويختلط فيها التهريج بالتعقيد ؛ بينما احتفظ لها چيلبرتو — Giliberto » بعنصر المأساة فكان فى معالجته للموضوع أكثر اقترابا من الأصل الأسبانى . . .

وبعد ذلك بدأت قصة دون چوان تأخذ طريقها إلى المسرح الفرنسى منقولة عن الإيطالية ، فظهرت مسرحيتان تتفق إحداهما مع الأخرى إلى حد بعيد : الأولى قدمها

« دوريمون — Dorimond » فى « ليون » سنة ١٦٥٩ باسم « وليمة التمثال أو الابن الضال » ، والثانية قدمها « ڤياييه — Villiers » بنفس الاسم فى باريس سنة ١٦٦٠ ؛ ثم تعاقب بعد ذلك تقديم المسرحيتين على مسارح فرنسا ؛ والممثلون الإيطاليون كانوا يعملون وقتذاك على المسارح الفرنسية ، فكان نجاحهم فى تمثيل « وليمة التمثال » التى نقلها « دوريمون » عن الإيطالية نجاحاً مدهشاً ، استمر فترة طويلة ، ودفع سائر الفرق المسرحية فى باريس الواحدة بعد الأخرى إلى احتضان الموضوع وتقديمه للجمهور فى قوالب فنية جديدة . . .

ولا شك أن « موليير » عندما أراد أن يكتب مسرحيته « دون چوان » قد استعان ببعض النصوص المنقولة عن الإيطالية وشاهد كذلك بعض ما قدم منها على مسارح باريس فى ذلك الحين . . . غير أننى فى هذا المجال لا أهدف إلى تحديد المصادر التى استند إليها « موليير » وهو مقبل على كتابة مسرحيته ، بقدر ما يهمنى أن أبين كيف وصل الموضوع إلى المحيط المسرحى الذى كان « موليير » يمارس نشاطه

فيه ، وكيف أنه كان من الطبيعى أن يستجيب « موليير » لمثل هذا الموضوع ويتجه إلى معالجته حرصاً على نجاح فرقته ، وبالأخص بعد أن واجهت الفرقة أزمة « تارتوف » التى صدرت الأوامر بمنع تمثيلها على أثر المرة الأولى التى قدمت فيها . ثم إن استعانه « موليير » بما نقله « دوريمون » و« ڤيلييه » عن الإيطالية ، أومعرفته بمسرحية « سيكونيينى » ، أو احتمال قراءته للنص الذى كتبه « چيلبرتو » . . . كل ذلك وما إليه ، لن يغير من حقيقة أن الكاتب المسرحى قد أخضع الموضوع لعبقريته ، فأكسبه إنسانية وجمالا ، وقدمه لنا قطعة مسرحية نادرة .

* * *

قدم « موليير » مسرحيته « دون چوان أو وليمة التمثال » لأول مرة فى ١٥ فبراير سنة ١٦٦٥ على مسرح « الپاليه رويال — Palais Royal » بباريس فكان نجاحها ملحوظا . . . ولكن المسرحية مع ذلك ، لم تكن أسعد حظا من سابقتها « تارتوف » ، فهى — رغم نجاحها وإقبال الجمهور عليها — لم تقدم حينذاك

سوى خمس عشرة مرة . . . لأن أعداء « موليير » وخصومه الذين أحفظتهم سخرياته ، قد وجدوا فى « دون چوان » مسرحية لها خطرها ، فوقفوا فى طريقها ، واستطاعوا بالفعل أن يبعدوها عن النور ، مستعينين على ذلك بكل ما لهم من نفوذ وكل ما فى جعبتهم من أساليب .

وبعد وفاة « موليير » طلبت أرملته إلى « توماس كورنى Thomas Corneill » أن يتناول المسرحية بالتعديل ، فكتب لها إعدادا بالشعر قدم لأول مرة عام ١٦٧٧ ... ثم مضى المسرح الفرنسى يعيد تقديم ذلك الإعداد بين الحين والحين ؛ وظل نص موليير » الأصلى متواريا فى الظلال طوال قرنين من الزمان تقريباً . . . حتى كان عام ١٨٤٧ ، فاحتضنت « الكوميدى فرنسيز » النص الأصلى لتعيد تقديمه بدلا من إعداد « توماس كورنى » الشعرى .

وعادت مسرحية « موليير » منذ ذلك الحين لتتنفس فى المسرح الفرنسى حياة العرض من جديد ، فمضت « الكوميدى فرنسيز تعيـــد تقديمها عبر السنين :. .

واهتم بهـــا كذلك « لوى چوڤيه Louis Jouvet »
فاحتضنها وأخرجها مع فرقته عام١٩٤٨ ، كما أعجب
بها أيضاً المخرج المعاصر « چان ڤيلار — Jean Vilar »
فبدأ يقدمها منذ سنة ١٩٥٣ على مسرح الدولة الشعبى . . .

ولكن ، ماذا هناك إذن فى هذه المسرحية ، مما
يعطيها القوة لاختراق حجب النسيان ، ويمنحها قدرة
الاستمرار فى الحياة ، ويجعلها تروق فى أعين المعاصرين..؟!

فلنحاول أولا أن نسـ[illegible]ـرض المسرحية ، علنا نستطيع
بعد ذلك أن نستخلص إجابة لهذا السؤال .

* * *

تجرى أحداث الفصل الأول بين أروقة قصر له هيئة
المبنى العام مفتوح على مجموعة من الممرات ، فهو أشبه
بمفترق طرق . . .

ونلتقى مع بداية الفصل بتابع دون چوان يتحدث مع
تابع دونا إلڤيرا ، فندرك عن طريق حديثهما أن للموضوع

جذوراً شائكة ومتشعبة . . . وأن المسرحية لن تكون مجرد مسرحية ساخرة على غرار ما سبق لنا أن ألفناه من مسرحيات موليير . . .

فدون چوان كان قد استخدم أسلحة إغرائه مع دونا إلڤيرا فأخرجها من الدير ، وتزوجها سراً ، ولكنه لم يلبث أن رحل عنها بصـــورة مفاجئة ؛ ويرى « سجاناريل » فى هذا الرحيل المفاجئ ، أن سيده دون چوان قد سئم الحياة مع دونا إلڤيرا وبدأ يفكر فى غرام جديد ، فهو من كثرة ما عاش مع چوان ورافقه كظله أصبح يدرك النتائج من مقدماتها . .

لقد عرف التابع فى سيده زير نساء يخدع الزوجة فيقوض حياتها الزوجية ، ويغرر بالفتاة فيعدها بالزواج ، ولا يتورع عن عمل أى شىء ليرضى شهواته ونزواته . .

وعرف سجاناريل أيضاً فوق هذا وذاك ، أن چوان كافر هرطيق ، لا يؤمن بالجنة ولا بالنار . . . وهو يتوقع منذ الفصل الأول أن نهاية سيده ستكون سيئة ، وأن غضب السماء سيعصف به ذات يوم . . ! !

وهكذا يبدو لنا منذ البداية أن سجاناريل غير مقتنع على الإطلاق بسيده ، وإن كان مع ذلك يجد نفسه مضطراً إلى الارتباط به والخضوع له بدافع من الخوف.

والواقع أن سجاناريل ودون چوان يقفان فى المسرحية على طرفى نقيض :

فسجاناريل ، رجل محافظ ، يتمسك بالأخلاق السائدة ، ويعرف الخضوع ، ويؤمن بالسماء .

أما چوان ، فرجل لا يعرف الخضوع ، نزاع إلى التحرر من كل قيد ، إنه يكفر بمجتمعه فيتمرد عليه ، ويمضى مندفعاً فى تمرده فيكفر أيضاً بالسماء .

فنحن سنلتقى إذن بالأنموذجين على طول طريق المسرحية يلازم أحدهما الآخر ، ولكن كخطين متوازيين لا يلتقيان أبداً . . .

إن مشاهد الفصل الأول تتعاقب بعد مشهد خادمى چوان وإلفيرا ، ونحن فى الواقع لا نكاد نلتقى بالشخصيات فى مشاهد هذا الفصل إلا لنزداد عن طريقها اقتراباً من الموضوع . .

فدون چوان يؤكد بدخوله ما سبق أن توقعه سجاناريل فيما يتعلق بموقفه من دونا إلفيرا ؛ ولكن چوان يفسر لنا سلوكه بالعين التى يرى بها نفسه :

إنه متعطش للجمال لا يرتوى أبدا . . . ولن يعرف كيف يتعلق بحب امرأة واحدة ، لأنه يشعر فى أعماق نفسه أن له قلباً يستطيع أن يحب جميع العالم . . . وهو عنـــده – فى هذا الموضوع – طموح الغزاة الذين يطيرون دائماً من نصر إلى نصر ، ولا يستطيعون أبدا أن يحددوا مدى رغباتهم . إنه – على حد تعبيره – كان يود كالإسكندر الأكبر أن تكون هناك عوالم أخرى ، ليستطيع أن يتابع فيها غزوات حبه . . .

وهكذا نبدأ نشعر مع المسرحية أن الموضوع يتشعب ليزداد عمقاً ، وأن الشخصيات فى تعبيرها عن نفسها وفى تكييف سلوكها تزداد تعبيراً عن الطبيعة الإنسانية بخيرها وشرها وقبحها وجمالها على السواء . . .

ليس فى نيتى بطبيعة الحال أن أقدم عرضاً كاملاً للمسرحية فألخصها فصلا بعد فصل ، ومشهداً بعد مشهد ، لأن ذلك قد يضيع على القارئ عنصر التشويق لدى قراءته للنص :

وإذا كنت قد طلبت منذ قليل أن نحاول استعراض المسرحية لنتبين مواضع القوة والجمال فيها ، فإننى أرجو أن يمضى القراء المهتمون بدراسة المسرحية فى ذلك بأنفسهم على منوال ما تقدم . وحسبى أن أدلى ببداية الخيط ليمسك بطرفه من يريد ، وليس هنا مجال التوسع على كل حال .

إن القارئ من خلال تتبعه للمسرحية سيستطيع أن يتبين فيها ما ينتمى إلى القرن السابع عشر ، وما يمتد إلى عالمنا المعاصر . . .

هناك أشياء كثيرة يمكن أن نراها فى المسرحية : فمأساة « كاليجولا » مثلا التى كتبها « ألبير كامو » نستطيع أن نجدها قائمة هنا أيضاً ، فالمسرحية تنطق بأن الإنسان لا يستطيع أن يحطم كل شىء دون أن يحطم نفسه أيضاً .

وهناك عبارات يصح أن نتوقف أمامها ، فدون چوان مثلا يتمنى الموت لأبيه لدى انصرافه من زيارته فيقول :

« مت فى أقرب فرصة ممكنة ، فهذا أحسن ما تستطيع عمله ! إننى أضيق ذرعاً بالآباء يعيشون قدر أبنائهم ! ! » .

فنحن بتوقفنا حيال مثل هذه العبارات التى تنطق على ألسنة الشخصيات ، قد نستطيع اكتشاف جوانب هامة من ظروف الشخصية التى نواجهها .

وهناك أيضاً أسئلة يصح أن نطرحها ونحن نواجه الشخصيات فى تصرفاتها :

لماذا لا يريد دون چوان أن يستسلم للزواج ؟ ألأنه لا يريد أن يستسلم إلى الشيخوخة ؟ أم لمجرد أنه يحب التنقل فحسب ؟

وهل يصح مثلا أن نرى فى تعطش دون چوان إلى الجرى بعيداً وراء الجمال هروباً من واقع مجتمعه الذى لا يرضاه ولا يستطيع أن يتنفس فيه على تمام راحته ؟

ثم جوانب الجمال الفنى فى المسرحية ، أليس هناك

مثلا أى لون من الجمال فى تدرج دخول التمثال إلى مجرى الأحداث كعنصر ميتافيزيقى يتحرك بما وراء الطبيعة ؟ !

إننى لو حاولت أن أشير إلى كل ما تزخر به المسرحية من جوانب جديرة بالاهتمام والتأمل لمــا انتهت القائمة إلا بعد شهر بأكمله ، ومواعيد المطبعة لا ترحم ، فإلى المسرحية إذن على صفحات الكتاب ، وفى المسرح القومى إذا راق للقارئ أيضاً أن يحضر تمثيلها . . »

نبيل الألفى

شخصيّات المسرحيّة

دون جوان : ابن دون لويس

سجاناريل : شماشرجي دون جوان

إلفيرا .. ... : زوجة دون جوان

جسمان : وصيف إلفيرا

دون كارلوس
دون ألونس
] شقيقا إلفيرا

دون لويس : والد دون جوان

شارلوت
ماتيرين
] فلاحتان

بيير و..... ..... : فلاح

تمثال الحاكم

لافيوليت
راجوتان
] خادما دون جوان

مسيو ديمانش : تاجر

لاراميي : سياف

شحاذ . شبح

حاشية دون كارلوس ودون ألونس
« الشقيقان »

المنظر في صقلية

الفصل الأول

المنظر الأول

(نسجاناريل — جسمان)

سجاناريل : [فى يده علبة نشوق] مهما استطاع «أرسطو» وجميع الفلاسفة أن يقولوا ، فلاشىء أفضل من النشوق : إنها متعة أفاضل الناس ، وما استحق أن يعيش من عاش بغير « نشوق » : فهو لا يقتصر على إنعاش النفس وتنظيف المخ ، بل إنه يربى الناس على الفضيلة ويعلمهم الكرم ؛ ألا ترى بوضوح كيف يتصرف الإنسان مع جميع الناس بمنتهى المروءة بمجرد أن يتناول النشوق ، وكيف يكون منتشيا عندما يوزعه ذات اليمين وذات اليسار

وفى كل مكان يوجد فيه ؟ وهو
لا ينتظر أن يطالب أحد منه ذلك ، بل
إنه يعرف مقدما رغبة الناس فيه . حقا
إن النشوق يوحى لكل من تعاطاه
بالكرم والفضيلة . ولكن لنكف عن
هذا الموضوع الآن ، ولنستأنف حديثنا .
إذن ، يا عزيزى جسمان ، كان رحيلنا
مفاجأة لسيدتك دونا الفيرا ، فأتت
وراءنا للبحث عنا . وقلبها الذى عرف
سيدى كيف يسيطر عليه تماما ، لم يستطع
كما تقول إلا أن يجبرها ، على أن تأتى
إلى هنا جريا وراءه ؟ هل تريد فيما
بيننا أن أصارحك برأيى ؟ أخشى ألا
يقابل حبها بالمثل ، وألا تثمر رحلتها
إلى هذه المدينة إلا نتيجة بسيطة كان
فى استطاعتكما أن تنالا مثلها لو أنكما
لم تتحركا من مكانكما .

جسمان : وما السبب ؟ قل لى أرجوك يا سجاناريل ، ما الذى أثار فى نفسك هذا الخوف المشئوم ؟ هل أسر إليك سيدى بشىء عن هذا الموضوع ؟ وهل قال لك إنه شعر نحوها بفتور اضطره إلى الرحيل ؟

سجاناريل : لا ، ولكننى أعرف تقريبا مجرى الأمور من مقدماتها ، فعلى الرغم من أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن هذا الموضوع ، فإننى أراهن بأن الحقيقة هى كما ذكرتها لك تقريبا . ربما كنت مخطئا ، ولكن تجربتى معه فى مثل هذه الأمور ، تنير لى الطريق بعض الشىء .

جسمان : ماذا ؟ أيكون إذن هذا الرحيل المفاجئ خيانة من دون جوان ؟ وهل يستطيع أن يجرح سيدتى ألفيرا فى حبها الشريف ؟

سجاناريل : لا ، ذلك أنه ما زال شابا وليس عنده الشجاعة ...

جسمان : رجل مثله ينتهي إلى طبقة النبلاء ، يعمل مثل هذا العمل الدنىء ؟

سجاناريل : آه ، نعم ، طبقة النبلاء ، هذا سبب وجيه يمنعه عن القيام بهذه الأعمال ؟ !

جسمان : ولكنه مرتبط بها برباط الزواج المقدس :

سجاناريل : آه يا جسمان يا مسكين ! يا صديقى العزيز ، إنك لم تعرف بعد — صدقنى — أى نوع من الرجال هو ، دون جوان :

جسمان : حقا إننى لا أعرف أى نوع من الرجال هو ، إن كان حقا قد غدر بنا بهذه الطريقة ، ولا أستطيع أن أفهم كيف إنه بعد كل هذا الحب ، وبعد كل هذا التهافت ، وكل هذه العواطف الحارة التى كان يبديها لها ، والأمانى والتأوهات والدموع ، وكل تلك الخطابات الغرامية ، ومظاهرات الحب الملتهبة وترديد أغلظ الأيمان وبالاختصار ،

بعد كل هذا التحمس ، وكل ما أبداه
نحوها من الدفاع ، حتى إنه تغلب على
العقبة المقدسة ، وأخرج دونا الفيرا
من الدير ليستحوذ عليها ، أقول إننى
لا أفهم كيف يطاوعه قلبه بعد كل
هذا ويخلف فى وعده .

سجاناريل : أما من جهتى فإننى لا أجد صعوبة
فى فهم كل هذا ، ولو كنت تعرف
ذلك الماكر الملعون ، لوجدت أن
الأمر سهلا بالنسبة له . أنا لا أقول
إن عواطفه قد تبدلت من جهة دونا
الفيرا فما زلت غير متأكد من ذلك ؛
لأنك تعرف أننى رحلت من قبله
حسب أوامره ، وأنه لم يتكلم معى منذ
وصوله . ولكننى أقول لك على سبيل
الاحتياط ، وذلك فيما بيننا ، إن سيدى
دون جوان أكبر سافل لئيم حملته الأرض ،

مجنون كلب شيطان ملحد ، لا يؤمن
بالجنة ولا بالنار ، يعيش فى هذه الحياة
كوحش مفترس أو كخنزير قذر ، كافر
هرطيق ، يصم أذنيه عن استماع جميع
المواعظ التى توجه إليه ، ويهزأ بكل
ما نؤمن به . تقول لى إنه متزوج من
سيدتك : صدقنى إنه يستطيع أن يعمل
أكثر من ذلك ليرضى شهواته . وإنه
كان من الممكن ألا يتزوجها هى
فحسب ، بل ومعها أنت ، وكلبها ،
وقطتها . فعقد الزواج لا يكلفه شيئا .
وهو لا يستخدم إلا هذه الطريقة لصيد
النساء ، فإنه يتزوجهن كيفما اتفق ،
سيدة ، آنسة ، متمدينة ، فلاحة ،
امرأة مثيرة أو فاترة ، كلهن عنده
سواء ، ولو قلت لك أسماء من تزوجهن
فى مختلف النواحى لما انتهت القائمة حتى
المساء ، يبدو لى أنك مندهش وقد

امتقع لونك من هذا الحديث . علما بأن
هذا كله ما هو إلا صـــورة سريعة
لشخصيته ، ولكى تكمل الصورة الحقيقية
وإن ذلك يستلزم منى وقتاً طويلا ،
إذ يحتاج الأمر إلى لمسات أخرى . يكفى
أن غضب السماء لا بد وأن يسحقه
ذات يوم . كنت أتمنى أن أخدم الشيطان
ولا أخدمه . لقد جعلنى أشاهد كثيراً
من المخازى حتى إننى أتمنى أن يكون
قد مضى إلى حيث ألقت . ما أبشع أن
يكون الرجل النبيل شريراً ، لأنه يجب
على أن أبدى له الإخلاص رغم احتقارى
إياه . ويدفعنى الخوف منه إلى التحمس
وإلى تزييف عواطفى ، فكثيراً ما أضطر
إلى أن أتظاهر باستحسان أشياء أكرهها
من كل قلبى . أوه ها هو قادم هناك
يتجول فى القصر . لنفترق ، ولكن
دعنى أقل لك هذا : لقد اعترفت لك

بهذا الاعتراف بكل صراحة ، وقد
زلف ذلك من لسانى بكل سرعة ،
ولكن إن حدث ووصلت أية كلمة منه
إلى مسامع سيدى ، فسوف أقول له
جهاراً إنك أنت الذى لفقتها .

المنظر الثانى

(دون جوان ـ سجاناريل)

دون جوان : من ذلك الرجل الذى كان يكلمك ؟
يخيل إلى أنه يشبه إلى حد كبير صديقنا
جسمان خادم الفيرا ؟ .

سجاناريل : هو شىء مثل ذلك تقريباً .

دون جوان : ماذا ؟ أهو جسمان ؟

سجاناريل : هو بنفسه .

دون جوان : ومنذ متى جاء إلى هذه المدينة ؟

سجاناريل : منذ ليلة أمس .

دون جوان : وأى موضوع جاء به إلى هنا ؟

سجاناريل : أعتقد أن عندك فكرة كافية عما يمكن أن يشغل باله .

دون جوان : رحيلنا من غير شك ؟

سجاناريل : لقد سبب للمسكين غما كثيراً وكان يسألنى عن السبب فى ذلك .

دون جوان : وماذا كانت إجابتك ؟

سجاناريل : قلت له إنك لم تقل لى شيئا عن هذا الأمر .

دون جوان : ولكن ما رأيك ؟ وما نظرتك إلى هذا الموضوع ؟

سجاناريل : أعتقد ، دون أن أسىء إليك ، أنك تفكر فى غرام جديد .

دون جوان : هل تعتقد ذلك ؟

سجاناريل : نعم .

دون جوان : حسن ، إنك لم تخطئ . ويجب أن أعترف لك بأن هناك امرأة أخرى طردت الفيرا من فكرى .

سجاناريل : هيه ! يا إلهى ! إننى أحفظ سيدى

دون جوان عن ظهر قلب ، وأعلم أنك
تملك قلبا يجعلك أكبر « زير نساء »
فى العالم ، قلبا يسره أن يتنقل من قيد
إلى آخر ولا يطيب له أبداً أن يظل فى
مكان واحد .

دون جوان : ألا تجد أننى على حق فى أن أتنقل به
كما أشتهى ؟

سجاناريل : آه . سيدى . .

دون جوان : ماذا ؟ تكلم . .

سجاناريل : بالتأكيد أنت على حق إذا شئت ،
ولا يمكن معارضتك فى ذلك : ولكن
إذا لم تشأ فربما اختلف الأمر .

دون جوان : حسنا . إننى أعطيك الحرية فى أن تتكلم
وتعبر عما يجول بخاطرك .

سجاناريل : فى هذه الحالة يا سـيدى ، أقول لك
بصراحة ، إننى لا أومن أبداً بطريقتك ،
وأجد أنه من الخطأ الكبير أن يحب

الإنسان شرقا وغربا ويمينا وشمالا كما
تفعل أنت ؟

دون جوان : ماذا ؟ هل تريد أن يجبر لرجل على أن يظل
مرتبطا بأول امرأة استولت على قلبه ، وأن
يهجر العالم من أجلها ، وألا ينظر إلى
امرأة أخرى ؟ ما أجمل أن يدعى الإنسان
أن الإخلاص فضيلة ، وأن يدفن نفسه
إلى الأبد فى حب واحد ، وأن يظل منذ
فجر شبابه غافلا عن كل جمال آخر قد
يلفت نظره ! لا لا ، إن الثبات فى الحب
لا يلائم إلا البلهاء من الناس . جميع
الحسناوات لهن الحق فى أن يسلبن لبنا ،
ولا يصح أن يكون لأول حسناء التقينا
بها ، الحق فى أن تسلب الأخريات
نصيبهن العادل فى قلوبنا . أما من جهتى ،
فإن الجمال يبهج نفسى أينما وجدته :
وما أسهل ما أنقاد إلى قوة جاذبيته العذبة :
مهما ارتبطت بحسناء ، فإن الحب الذى

أكنه لها لا يحملني على ظلم الأخريات :
إن لى عينين أحتفظ بهما لأرى مزاياهن
جميعاً ، وأقدم فروض الطاعة والولاء لكل
واحدة تقودنى إليها طبيعتى ، مهما يكن
من أمر فإننى لا أستطيع أن أمنع قلبى عن
كل من أراها جديرة بالحب . ولو كان
عندى مائة ألف قلب ، فإننى أهبها جميعاً
للمرأة الجميلة التى تطلب حبى . فالعاطفة
الوليدة لها سحر يقصر دونه الوصف ،
ولذة الحب فى التنقل ، وإن الإنسان
ليشعر بمتعة كبرى حين يخضع قلب فاتنة
صغيرة بمئات العبارات الدالة على الحب
والوفاء ، وحين يلاحظ التطورات المختلفة
التى تطرأ عليها يوماً بعد يوم ، وحين
يحارب بالتحمس والدموع والتأوهات
الحياء البرىء لنفسية بريئة يعز عليها أن تلقى
سلاحها ، وحين يتغلب بالتدريج على
كل التمنعات الصغيرة التى تقاومنا بها ،

ويقضى على كل حيرة الضمير التى
تفاخر بها ، ويقودها بلطف ورقة إلى
حيث يريدها أن تذهب . ولكن ، عندما
يصبح الرجل سيد الموقف فلاشىء هناك
ينقصه أو يتمناه ، إن كل جمال الرغبة
قد انتهى ، إننا ننام فى هدوء هذا الحب ،
حتى يظهر حب جديد يوقظ رغباتنا
ويفرح قلوبنا بغزو جديد . النهاية ، ليس
هناك ألذ من الانتصار على مقاومة امرأة
حسناء . وأنا عندى – فى هذا الموضوع –
طموح الغزاة الذين يطيرون دائما من
نصر إلى نصر ، ولا يستطيعون أن يحددوا
مدى رغباتهم ، لا شىء يستطيع أن يقاوم
حدة رغباتى : إننى أشعر فى قرارة
نفسى أن لى قلبا يستطيع أن يحب جميع
العالم . ولكم أتمنى كالإسكندر ، أن تكون
هناك عوالم أخرى لأستطيع أن أتابع
فيها غزوات حبى .

سجاناريل : ما شاء الله ! يا لفصاحة اللسان ؟ يبدو أنك حفظت هذا عن ظهر قلب ، وتتكلم كأنك تقرأ فى كتاب .

دون جوان : وماذا لديك تقوله فى هذا ؟

سجاناريل : وذمتى ! أريد أن أقول ! لا أعرف ماذا أقول ، ذلك أنك قلبت الأمور بطريقة يبدو معها أن الحق معك ، ومع ذلك فمن المؤكد أن الحق ليس معك . كانت لدى أجمل أفكار فى العالم ، ولكن كلامك هذا قد جعلها تختلط جميعها فى ذهنى : دعنا من هذا الآن ، سوف أتناقش معك مرة أخرى وسأحضر جميع براهينى مكتوبة على ورق .

دون جوان : حسنا تفعل :

سجاناريل : ولكننى يا سيدى ، لو كان لى أن أستعمل الحرية التى سمحت لى بها ، لقلت لك إننى أشعر بالخجل بعض الشىء من الحياة التى تحياها .

دون جوان : كيف ، وما هى الحياة التى أحياها ؟
سجاناريل : حياة جميلة جداً ، أن تشاهد مثلا وأنت تتزوج فى كل شهر كما تفعل .
دون جوان : وهل يوجد شىء أمتع من هذا ؟
سجاناريل : حقا ، وإننى أوافق أنه ربما كان هذا ممتعاً جدا ، ومسليا جدا ، وكان بودى أن أفعل نفس الأمر لو لم يكن فى ذلك أى ضرر ، ولكن يا سيدى ، أن تستهتر هكذا بسر من الأسرار المقدسة ، و ...
دون جوان : هيا . . هيا . . هذا أمر بينى وبين السماء ، وسوف نسويه معا من غير أن تشغل بالك .
سجاناريل : والله يا سيدى . لقد سمعتهم دائما يقولون إن من أقبح الأشياء أن يجذف الإنسان بالسماء ، وإن نهاية الكافرين بها لن تكون طيبة .
دون جوان : مهلا . . يا رئيس الأغبياء ! قلت لك إننى لا أحب المواعظ !

سجاناريل : إذن فلن أكلمك فى هـــذا الشأن
ولير عانى الله . إنك تعرف ماذا تفعل
وإن كنت لا تؤمن بشيء ، فلك وجهة
نظرك . ولكن هناك بعض صغار الناس
الأغبياء الذين يكفرون بالسماء دون أن
يعرفوا لذلك سببا ؟ ! وهم يظنون أن
تجديفهم هذا يرفع من شهرتهم بين
الناس . ولو كان لى سيد من هذا النوع ،
لقلت له فى وجهه : « هل تجرؤ أن
تهاجم السماء ولا ترتعـــد فرائصك
عند ما تسخر هكذا بأقدس المقدسات ؟
هل يليق بك يا دودة الأرض الحقيرة ،
ويا أيها القزم الصغير (إننى أخاطب السيد
الذى تكلمت عنه) هل يليق بك أن تحشر
نفسك وتسخر من أشياء يقدسها جميع
الناس ؟ هل تظن أنك ما دمت من النبلاء ،
وتلبس الباروكة الشقراء ذات الشعر
المجعد ، وتضع الرياش فى قبعتك ،

وترتدى رداء مذهبا وتضع أشرطة
متوهجة كالنار (إننى لا أكلمك طبعا
بل أكلم السيد الآخر) هل تظن هذا
كله يجعلك أكثر الناس براعة ، وأن
كل شيء مباح لك ، وأن كائنا من
كان لن يجرؤ على مصارحتك بحقيقتك ؟
تعلم منى أنا خادمك ، أن السماء تعاقب
أن آجلا أو عاجلا كل الكفار ، وإن
الذى يحيا حياة شريرة يموت ميتة
شريرة ، وأن . . .

دون چوان : صه . .

سجاناريل : لماذا ؟ ما الأمر . ؟

دون چوان : الأمر هو أن امرأة جميلة قد سيطرت على
قلبي ، وأن سحر مفاتنها هو الذى أغرانى
بالرحيل وراءها إلى هذه المدينة .

سجاناريل : ولكن ألا تخشى شيئاً هنا يا سيدى من موت
ذلك الحاكم الذى قتلته منذ ستة أشهر ؟

دون جوان : وما الداعى للخشية ؟ ألم أقتله كما يجب ؟

سجاناريل : حسب الأصول وأكثر من الأصول ، يكون غير محق لو أنه اشتكى .

دون جوان : لقد برئت فى هذه القضية .

سجاناريل : نعم ، ولكن ربما لم تطفىء هذه البراءة الضغينة الموجودة فى نفوس الأهل والأصدقاء و . . .

دون جوان : آه . . لا تدعنا نفكر فى المكاره التى يحتمل أن تحل بنا . ولنفكر فقط فيما يحتمل أن يسبب لنا المتعة والسرور . إن المرأة التى أكلمك عنها ، شابة صغيرة مخطوبة ، من أجمل من رأيت فى الوجود . جاء بها إلى هنا نفس الرجل الذى سوف يتزوج منها . وقد أتاحت لى المصادفة أن أرى هذين العاشقين منذ ثلاثة أو أربعة أيام ، ولم أر أبدا شخصين يخلصان لبعضهما مثل هذا الإخلاص ، أو يحبان بعضهما مثل هذا . إن ما كان يبدو على

عواطفهما المتبادلة من حنان ، أثار فى
نفسى المشاعر وهز قلبى هزا عنيفاً ؛
فابتدأ حبى بالغيرة . نعم ، لم أستطع من
أول لحظة أن أتحمل رؤيتهما معا ينعمان
بهذه السعادة ، فأشعل الغيظ الرغبة فى
نفسى ، وتصورت مقدار اللذة الكبرى
التى سوف أشعر بها عند ما أكدر صفوهما
المتبادل وأحطم هذه العلاقة التى أهانت
كبرياء قلبى . . ولكن محاولاتى كلها
حتى الآن كانت غير مجدية ، فلجأت
إلى آخر علاج : هذا « العريس » الموعود
ينتوى اليوم إمتاع حبيبته بنزهة فى
البحر . وقد أعددت كل شىء لأحقق
رغبتى دون أن أقول لك كلمة واحدة ،
فاستأجرت مركبا ورجالا أستطيع
بواسطتهم بكل سهولة أن أخطف الحسناء

ل : آه يا سيدى .

دون جوان : ماذا ؟

سجاناريل : لقد أحسنت صنعاً ، فأنت تأخذ الأمور كما يجب ، فلا شيء فى هذه الحياة يساوى إمتاع النفس . .

دون جوان : إذن استعد لتأتى معى ، واهتم بإحضار كل أسلحتى بنفسك ، حتى يمكن . . .

[يلمح دونا الفيرا] آه ! يا لها من مقابلة مزعجة ! أيها الخائن ! إنك لم تقل لى إنها قد جاءت إلى هنا بنفسها !

سجاناريل : إنك لم تطلب منى ذلك يا سيدى .

دون جوان : هل هى مجنونة حتى لا تغير ملابسها ، وتأتى هنا فى مثل هذه الملابس الكئيبة ؟ !

المنظر الثالث

(دونا الفيرا — دون جوان — سجاناريل)

دونا الفيرا : هل تسمح يا دون جوان وتتكرم بالتعرف على ؟ وهل أستطيع أن آمل على الأقل أن تتنازل وتنظر إلى ناحيتى ؟

دون جوان : أعترف لك يا سيدتى أننى مندهش ، وأننى لم أكن أنتظرك هنا

دونا الفيرا : أرى بوضوح أنك لم تكن تنتظرنى هنا . وأنك حقاً مندهش ، ولكن على غير ما كنت أتمنى ! والطريقة التى تظهر بها دهشتك أمامى أقنعتنى تماماً بما رفضت أن أصدق من قبل . إننى أعجب من سذاجتى وضعف قلبى إذ تشككت فى خيانتك التى تؤيدها مظاهر كثيرة . وأعترف أننى كنت سليمة النية . أو إن شئت غبية حتى قبلت أن أخدع نفسى وأحاول تكذيب عينى وتغيير حكمى عليك ! لقد بحثت عن مبررات لأعتذر بها إلى قلبى عن ذلك الفتور فى المحبة الذى كنت ألمسه عندك ، وكنت أختلق عن قصد مئات الأعذار التى تبرر رحيلك المفاجئ، لكى أبرئك من الجريمة التى يتهمك بها عقلى . إن شكوكى العادلة كانت تساورنى

كل يوم : ولكنى كنت أرفض الاستماع
إلى صوتها الذى كان يصورك مجرماً أمام
عينى . وكنت أستمع وأنا مسرورة إلى
الآمال الواهية التى تصورك بريئاً أمام
قلبى ، ولكن هذه الطريقة التى استقبلتنى
بها لم تعد تسمح لى بالشك ، وقد أدركت
من نظراتك الخاطفة التى ألقيتها على ،
أشياء أكثر مما كنت أود أن أعرف ، ومع
ذلك ، فإنه يسرنى جداً أن أسمع من فمك
أسباب رحيلك . تكلم أرجوك يا دون
جوان ! ولنر كيف ستدافع عن نفسك ؟

دون جوان : سيدتى ، ها هو ذا سجاناريل يعرف لماذا
رحلت ؟

سجاناريل : أ أ . . أنا يا سيدى ؟ أنا لا أعرف شيئاً
أرجوك

دونا الفيرا : حسناً يا سجاناريل ، تكلم ، لا يهمنى
من أى فم أسمع تلك الأسباب .

دون جوان : [مشيراً إلى سجاناريل بالاقتراب] تعال إذن وقل للسيدة .

سجاناريل : وماذا تريد منى أن أقول ؟

دونا الفيرا : تعال هنا ما داموا يطلبون منك ذلك ، وقل لى ما هى أسباب ذلك الرحيل المفاجىء ؟

دون جوان : ألا تجاوب ؟

سجاناريل : ليس عندى أى جواب : إنك تهزأ من خادمك . .

دون جوان : تكلم قلت لك !

سجاناريل : سيدتى . .

دونا الفيرا : ماذا ؟

سجاناريل : [يستدير نحو سيده] سيدى . . .

دون جوان : [مهدداً] إذا لم . .

سجاناريل : سيدى ، إن سبب رحيلنا هم الغزاة ، الإسكندر الأكبر والعوالم الأخرى ، هذا يا سيدى هو كل ما أستطيع أن أقوله

دونا الفيرا : هل تتفضل يا دون جوان وتفسر لنا هذه الألغاز الجميلة ؟

دون جوان : الحقيقة يا سيدتى . . !

دونا الفيرا : آه ! لكم تسىء الدفاع عن نفسك كرجل من رجال البلاطكان ينبغى أن يكون متعوداً على مثل هذه الأمور . إننى أشفق أن أراك فى مثل هذا الارتباك . لماذا لا تسلح جبهتك بجرأة النبلاء ؟ لماذا لاتقسم لى بأنك ما زلت عند شعورك نحوى ، وأنك لا زلت تحبنى بحرارة لا مثيل لها ، وأن شيئاً لا يستطيع أن يفصلك عنى إلا الموت ؟ لم لا تقول لى بأن هناك أعمالا غاية فى الأهمية أجبرتك على الرحيل دون أن تخطرنى ؟ وأنه يجب عليك أن تبقى هنا بعض الوقت رغم إرادتك ، وأنه ليس على إلا أن أعود من حيث أتيت ، وأنا واثقة أنك سوف تلحق بى فى أقرب فرصة ممكنة ، وأنه من المؤكد أنك تتحرق

شوقاً للحاق بى ، وأنك تتألم لبعدك عنى
كما يتألم الجسد عند ما تفارقه الروح ؟ هكذا
كان يجب أن تدافع عن نفسك وألا تظل
هكذا مذهولا أمامى !

دون جوان : أعترف لك يا سيدتى أننى لا أملك موهبة
إخفاء عواطفى ، وأننى أحمل قلبا صادقا :
لن أقول لك إننى ما زلت عند مشاعرى
بالنسبة لك ، وإننى أتحرق شوقا للحاق
بك ، حيث إنه من المؤكد أننى لم
أسافر إلا هرباً منك . وليس لتلك
الأسباب التى تتصورينها ، ولكن كان
ذلك بواعز من ضميرى ، إذ أعتقد أننى
لا أستطيع أن أعيش معك بعد ذلك من
غير أن أرتكب خطيئة . لقد بدأت
الوساوس تخالجنى يا سيدتى ، وقد تفتحت
روحى على ما كنت أفعل . وفكرت أننى
لكى أتزوجك ، قد اختطفتك من على

سور أحد الأديرة ، وأناك نكثت بالعهد
التى كنت مرتبطة بها فى جهة أخرى ،
وأن السماء غيورة جداً من مثل هذه
الأمور . حينئذ تملكتنى التوبة وخشيت
غضب السماء . ورأيت أن زواجنا لم
يكن إلا نوعاً من الزنى المستتر ، وإنه
سوف يجر علينا غضب السماء . بالاختصار
كان يجب على أن أنساك ، وأن أهيئ لك
الوسيلة لكي تعودى إلى قيودك الأولى ؟
فهل تريدين ياسيدتى أن تعارضى مثل
هذا القرار المقدس ؟ وأن تجعلينى
— باحتفاظى بك — أعرض نفسى لانتقام
السماء ؟ وإنه . . . .

دونا الفيرا : أيها النذل الخليع . قد عرفتك الآن تماما ،
ولكننى عرفتك لسوء حظى بعد فوات
الأوان . ومثل هذه المعرفة لا يمكن إلا أن
تضاعف من شقائى . ولكن اعلم أن
جريمتك لن تظل دون عقاب ، وأن

نفس السماء التى تهزأ بها ، سوف تعرف
كيف تنتقم من غدرك وخيانتك :

دون جوان : سجاناريل ، السماء ! . :

سجاناريل : آه صحيح ، إننا لا نهتم كثيرا بها . . نحن !

دون جوان : سيدتى . : .

دونا الفيرا : كفى . لا أريد أن أسمع أكثر من هذا :
بل إننى ألوم نفسى ، لأنى سمعت أكثر
مما ينبغى . إنه لمن الجبن أن يتوسع الإنسان
فى شرح ما أدى إلى فضيحته . وفى مثل
هذه المواضيع يجب على كل نفس نبيلة
ــ منذ اللحظة الأولى ــ أن تختار طريقها :
لا تنتظر منى أن أنفجر فيك لوما وشتيمة ،
لا : لا . إننى لن أصرف غضبى فى كلام
غير مفيد ، ولكننى سأحتفظ بكل شدته
للانتقام إننى أكرر عليك مرة أخرى :
سوف تعاقبك السماء أيها الخائن الغادر
على ما سببته لى من إهانة ، وإن كنت

لا تخشى شيئا من السماء فأخش على الأقل
غضب امرأة مجروحة . [تخرج]

سجاناريل : [وحده] آه ! لو ضميره يؤنبه !

دون جوان : [بعد تفكير قصير] هيا بنا نفكر فى
تنفيذ مشروعنا الغرامى .

سجاناريل : آه ! يا له من سيد فظيع أقوم مكرها
على خدمته . . .

[ستار]

الفصل الثانى

المنظر الأول

(شارلوت — بيرو)

شارلوت : الحمد لله يا بيرو أنك كنت هناك وقت الحاجة إليك .

بيرو : والله لو لم أكن هناك ، لكان بينهما وبين الغرق شعرة واحدة .

شارلوت : أهى ريح هذا الصباح التى قلبتهم فى البحر ؟

بيرو : انظرى يا شارلوت ، سأحكى لك ما حدث كما حدث بالضبط ، لأنى كما يقول المثل : أول من رآهم أنا ، وأنا أول من رآهم ، وبالاختصار ولا أطيل عليك ، كنت على شاطئ البحر أنا ولوقا السمين : كنا نلعب مع بعضنا ونضرب

بعضا بالجلة . لأنك تعرفين أن لوقا يحب
أن يلعب بالجلة ، وأنا أيضاً أحب أن
ألعب بالجلة أحياناً . وبينما نحن نلعب ،
رأيت من بعيد شيئاً يتحرك فى الماء .
كما لو كان يقترب منا شيئاً فشيئاً .
فظللت أحملق بعينى ، وبعد ذلك فجأة
رأيت أننى لم أعد أرى شيئاً . فقلت
إيه ! لوقا ، يبدو أن هناك أناساً
يسبحون فى الماء . فقال لى لوقا :
سلامة النظر . يبدو أن عينيك
قد أصابهما الرمد . فقلت له تحشم
يا ولد ، عيناى لم يصبهما الرمد ،
إنى أرى أناساً . فقال لى . أبداً أنت
أعمى . فقلت له : تراهن أننى لست
أعمى . وأنهما رجلان يسبحان نحونا .
قال : يا للعنة ! أراهن أن هذا غير
صحيح ! فقلت له : أوه يا للشيطان !
أتراهن على ذلك بعشرة صلدى ؟ فقال

لى : موافق جداً ، ولكى تتأكد أنى
على اســتعداد للرهان ها هى فلوس
الرهان . وأنا لم أكن عبيطا فى يوم من
الأيام ولم يشط عقلى أبدا ، فألقيت الرهان
بكل شجاعة صلديا صلديا على الأرض ،
تماماً كما لو كنت شربت كوباً من
النبيذ لأننى رجل مغامر وأعرف ماذا
أفعل . ودون أن أكثر عليك بالكلام
ما إن ألقيت بالرهان على الأرض ،
حتى وجدت الرجلين قد برزا بوضوح
فوق سطح الماء من جديد ، وأخذا
فى التلويح لنا كى نذهب لإنقاذهما .
فما كان منى إلا أن سحبت فلوس
الرهان وقلت : هيا بنا يا لوقا ! أنت
ترى جيداً أنهما يناديان علينا ؛ هيا
لإنقاذهما . فقال لى : لا إنهما سبب
خسارتى . وأخذنا وأعطينا ، ثم أخذنا

وأعطينا مع بعضنا البعض : ومضيت
أنصح فيه ، حتى أقنعته وأخذنا مركبا ،
ثم مضيت أسحبهما بالحبال شيئاً . .
فشيئاً . . شيئاً . . فشيئاً ، حتى أخرجتهما
من الماء ، ثم أخذتهما عندنا بجوار النار :
وبعد ذلك خلعا كل ملابسهما لكى
يجففا جسميهما العاريين : وبعد ذلك
جاء اثنان آخران من جماعتهما كانا قد
أنقذا نفسيهما من الغرق . ثم جاءت
« ماتيدين » ، وكان فى الجماعة واحد منهم
جعل ينظر إليها ويغمز لها بعينيه فى
حنان .. وهذا يا شارلوت هو كل ما حدث
تماماً تماماً بالضبط بالضبط .

شارلوت : ألم تذكر لى يا بييرو ، أن هناك أحدهم
شكله ألطف من الآخرين ؟

بييرو : نعم ! إنه سيدهم . لا بد وأن يكون سيدا
عظيما من علية القوم . لأن ملابسه مطرزة

بالذهب من رأسه إلى قدميه . والذين
يقومون بخدمته يبدو أيضاً أنهم سادة
من علية القوم . ومع ذلك فلو لم أكن
أنا هناك ، لكان هذا السيد الكبير
قد غرق .

شارلوت : على مهلك قليلا يا بييرو . . إنك تبالغ . !

بييرو : والله لو لم أكن هناك لكان الآن فى العالم
الآخر .

شارلوت : أما زال عندك حتى الآن شخصاً عارياً
بجوار النار يا بييرو ؟

بييرو : لا . لا . لقد ارتدوا جميعاً ملابسهم
أمامنا قطعة قطعة . يا إلهى إننى لم أر فى
حياتى من قبل أحد هؤلاء السادة يرتدى
ملابسه أمامى . آه لكم يلفون أجسامهم
بلفائف لا أول لها ولا آخر جعلتنى
أفقد رأسى وأقف أمامها مندهشا مذهولا .
أتعرفين يا شارلوت أن لهم شعرا مستعارا

يضيفونه إلى رؤوسهم كأنه غطاء رأس
من شعر الخروف . ولهم قمصان أكمامها
فضفاضة نستطيع أن ندخل فيها معا وبدل
السراويل يلبســـون « مريلة » عريضة .
عريضة جدا . وبدل الصديرى الطويل
يلبسون آخر قصيراً لا يصل إلى خصرهم .
ويضعون مناديل مزركشة ذات شراريب
كبيرة ملونة تتدلى على صدورهم ،
ويربطون أيديهم وأرجلهم بالشرائط
الحريرية و « الدانتلا » . وبين كل هذا
وهذا شرائط لا أول لها ولا آخر .
يا للمساكين ! حتى الأحذية التي يلبسونها
كلها شرائط بعضها فوق بعض . !
لو لبستها أنا ، ولن يكون ذلك — لوقعت
على الأرض وانكسرت رقبتي [يضحك]

شارلوت : والله يا بييرو ، أريد أن أذهب لأرى
ذلك !

بيرو : اسمعى قبل ذلك يا شارلوت ! عندى
موضوع أريد أن أكلمك فيه ، أنا . .

شارلوت : حسن ، قل لى ماذا هناك ؟

بيرو : لابد يا شارلوت كما يقول المثل : أن
أفتح لك قلبي . إنى أحبك وأنت
تعرفين هذا جيدا . ونحن لا بد أن
نتزوج . . لكن ، يا للشـــياطين !
أنا لست راضيا عنك . .

شارلوت لماذا ؟ ماذا فى الأمر ؟

بيرو : فى الأمر أنك تغضبيننى منك بكل صراحة .

شارلوت : وكيف ؟ ماذا حدث ؟

بيرو : أقسم بالله ، أنك لا تحبيننى . .
لا تحبيننى أبدا .

شارلوت : آه ! ليس هناك سوى ذلك ؟

بيرو : ليس هناك سوى ذلك . وفى هذا الكفاية .

شارلوت : عجبا لك يا بيرو ! أنت تقول دائما
نفس الشىء .

بييرو : أنا أقول دائما نفس الشيء لأنه فى
اعتقادى هو الحقيقة ، ولو لم يكن
كذلك ، لما كررته لك !

شارلوت : لكن ماذا تعنى وماذا تريد ؟

بييرو : أريدك أن تحبينى .

شارلوت : وهل أنا لا أحبك ؟

بييرو : لا ، أنت لا تحبيننى . ومع ذلك أنا أفعل
كل ما أستطيع كى تحبيننى . إننى أشترى
لك دون أن أشعر بأى ضيق شرائط
من كل الباعة الذين يمرون من هنا ،
وأحضر لك العصافير الصغيرة من فوق
الشجرة ، حتى أكاد أقع وتنكسر
رقبتى . وفى العيد أجعل الموسيقى
تعزف أمام دارك . كل هذا دون
فائدة ، كما لو كنت أضرب رأسى
فى الحائط . ترين ! هذا أمر سيئ . إننى
أتحمل كثيراً من المغارم والمخاطر من

أجلك ، دون أن أجد صدى عندك
ياشارلوت . وليس من الشرف ألا نحب
من يحبوننا .

شارلوت : ولكن والله أنا أحبك أيضاً .

بييرو : أوه .. إنك تحبيننى بشكل جميل جدا !

شارلوت : وماذا تريدنى أن أفعل ؟

بييرو : أريدك أن تفعلى كما يفعل الناس عندما
يحب بعضهم بعضاً .

شارلوت : وهل أنا لا أحبك كما يحب الناس
بعضهم بعضاً ؟

بييرو : لا ، عندما يكون هناك حب فإنه يبدو
واضحاً . ويأتى المحب بحركات كثيرة
لمن يحبهم من كل قلبه : انظرى إلى
توماسين البدينة كم هى غارقة لشوشتها
فى حب الولد روبان ! إنها دائما تدور
حوله ، تشاكسه ، ولا تتركه أبداً فى
راحة . إنها تدبر له دائماً مقالب تثير
الضحك . وتضربه على قفاه : وهو سائر

فى الطريق . ومنذ يومين ، بينما كان
جالساً على مقعد ، سحبته من تحته فوقع
بطوله على الأرض . أكفر؟ ، هكذا
يكون الحب وإلا فلا . ولكنك لا تقولين
لى شيئاً بالمرة . ها أنت واقفة أمامى
كالصنم ، وأمرّ من أمامك عشرين
مرة ، كى تتحركى وتصفعينى ولو مرة
واحدة ، أو تناوشينى بكلمة ، ولا فائدة .
هذا شىء لا يحتمل . أعوذ بالله !
أنت باردة !

شارلوت : ماذا تريدنى أن أفعل ، هذه طبيعتى
ولا أستطيع أن أغيرها .

بييرو : طبيعتك أو غير طبيعتك . عندما يحب
المرء إنساناً لا بد وأن يظهر ذلك عليه .

شارلوت : على كل حال أنا أحبك على قدر ما أستطيع ،
فإذا لم تكن سعيداً بذلك فاذهب وابحث
عن حب واحدة أخرى .

بييرو : عال ، جاءك كلامى ؟ لو كنت تحبيننى

حقا ، أكنت تقولين لى ذلك ؟

شارلوت : لماذا تضايقنى هكذا ؟

بيرو : يا للشيطان ! كيف أضايقك ؟ أنا لا أطلب منك إلا بعض الحب .

شارلوت : حسن . دعنى وحدى الآن ولا تلح على . ربما يأتى يوم أقع فيه فى حبك كما تريد دون تفكير .

بيرو : اتفقنا .. ضعى يدك فى يدى .

شارلوت : حسن .. اتفقنا .

بيرو : عدينى أنك ستفعلين كل ما فى وسعك كى تحبينى أكثر فأكثر .

شارلوت : سأعمل كل ما أستطيع أن أعمل . ولكن هذه المسألة لا بد وأن تأتى من نفسها . أهذا هو السيد ؟

بيرو : نعم إنه هو .

شارلوت : آه يا ربى ، كم هو لطيف . لو كان قد غرق لكانت الخسارة فادحة .

بيرو : سأرجع حالا ، سأذهب لأشرب كأسين

فقط كى أنعش نفسى قليلا بعد كل
هذا التعب .

المنظر الثانى

(دون جوان ــ سجاناريل ــ شارلوت)

دون جوان : لقد فشلت خطتنا يا سجاناريل ، وقلبت
هذه العاصفة غير المنتظرة مركبنا وخطتنا
التى كنا قد أعددناها ، ولكنى لا أخفى
عليك أن القروية التى تركتها الآن قد
خففت من وقع هذه الكارثة . وقد وجدت
فى جمالها ما محا من نفسى كل كدر سببه
لى عدم نجاح خطتنا . يجب ألا يفلت منى
هذا القلب . وقد رُمْتُ فيه من الآمال ،
وإنى لآمل أن يوفر على كثيرا من
التأوهات والآهات .

سجاناريل : يا سيدى ! أعترف أنك تدهشنى ! فلقد
نجونا بالكاد من خطر الموت ، وبدلا من
أن نشكر السماء على العناية التى شملتنا

بها ، أراك تعمل من جديد لاستنزال
غضبها ، بنزواتك المعتادة ، وغرامياتك
الإجـ . . [يرى دون جوان ينظر مهددا]
صَه أيها الوغد! إنك لا تعرف ما تقول ،
وسيدك يعرف ما يفعل . هيا .

دون جوان : [يلمح شارلوت] آه . ها . من أين
خرجت هـــذه الفلاحة الأخرى
يا سجاناريل ؟ هل رأيت أجمل منها ؟
قل لى ، ألا ترى أن هذه الحسناء لا تقل
عن الأخرى جمالا ؟

سجاناريل : بكل تأكيد [لنفسه] صيد جديد .

دون جوان : من أين لى أيتها الحسناء هذه المقابلة
السارة ؟ ماذا ؟ هل يوجد فى مثل هذه
الأماكن الريفية ، وبين تلك الأشجار
والصخور ، مخلوقات فى مثل هذا
الجمال ؟

شارلوت : كما ترى يا سيدى ؟

دون جوان : هل أنت من أهل هذه القرية ؟

شارلوت : نعم يا سيدى .

دون جوان : وهل تسكنين فيها ؟

شارلوت : نعم يا سيدى .

دون جوان : وما اسمك ؟

شارلوت : خادمتك شارلوت .

دون جوان : آه ، يا لها من مخلوقة جميلة ، ويا لعيونها الجذابة .

شارلوت : إنك تخجلني جداً بهذا الكلام يا سيدى .

دون جوان : آه ! لا تخجلي أبداً أن تستمعى إلى الحديث عن حقيقتك . سجاناريل ، ما رأيك فيها ؟ هل من الممكن أن يرى الإنسان أجمل منها . استديرى قليلا من فضلك ؟ آه ! ما أرشق هذا القوام ! ارفعى رأسك قليلا أرجوك ! آه . . ما أظرف هذا الوجه . افتحى عينيك على وسعهما ! آه . . ما أجملها ! أرجوك دعيني أرى

أسنانك قليلا ؟ يا للإثارة ! وهاتان الشفتان الشهريتان ! آه .: لقد سلبت قلبي فلم أر أبداً مخلوقة فى مثل هذه الفتنة .

شارلوت : هذا كلام يسرك أن تقوله يا سيدى . ولكنى لا أعرف إن كنت تقوله لكى تسخر منى .

دون جوان : أنا أسخر منك ؟ أستغفر الله ! إن حبى لك أكبر من ذلك . وهذا الكلام صادر من أعماق قلبى :

شارلوت : أشكرك إن كان هذا صحيحا .

دون جوان : لا .. لا .. لا تشكرينى أبداً على كل ما أقول ، فأنتِ لستِ مدينة إلا لجمالك .

شارلوت : يا سيدى ، إنك تحسن الكلام جداً بالنسبة إلى ، ولست على قدر كبير من الذكاء يسمح لى بالرد عليك .

دون جوان : سجاناريل ! انظر قليلا إلى يديها !

شارلوت : سيدى ! إن السواد يعلوهما . . كالـ : :
لست أدرى ماذا . .

دون جوان : إيه ؟ ماذا تقولين ؟ إنهما أجمل يدين فى العالم . دعينى أقلبهما .

شارلوت : هذا شرف كبير يا سيدى ، ولو كنت أعرف هذا من قبل لغسلتهما « بالردة » .

دون جوان : قولى لى أيتها الحسناء شارلوت ، أنت لست متزوجة دون شك ؟

شارلوت : لا يا سيدى . ولكنى سأتزوج قريباً بييرو ابن جارتنا سيمونيتا .

دون جوان : ماذا ؟ إنسانة مثلك تكون زوجة فلاح بسيط ؟ . لا . لا . إن هذا امتهان لجمال لا حد له . وأنت لم تولدى لتسكنى فى قرية . فأنت تستحقين ولا شك حظا أفضل . والسماء التى تعرف ذلك جيداً قد قادتنى إلى هنا خصيصا لأمنع هذا الزواج ، وأقدر جمالك حق قدره . ذلك

أنى أحبك من كل قلبى أيتها الحسناء
شارلوت . ولا يتوقف الأمر إلا عليك
أنت ، حتى أنتزعك من هذا المكان
الحقير ، وأضعك فى المكان اللائق
بك . هذا حب سريع ولا شك ، ولكن
ماذا ؟ إنه تأثير جمالك الباهر يا شارلوت .
وإن الإنسان ليحبك بمثل هذه القوة فى
ربع ساعة فقط ، على حين أنه لا يحب
أخرى إلا فى ستة أشهر . .

شارلوت : أقول لك الحق يا سيدى ، أنا لا أعرف
ماذا أفعل عندما تتكلم . فكلامك يسرنى
وأتمنى بكل جوارحى أن أصدقك . ولكنهم
كانوا يقولون لى دائما إنه لا يصح أبدا
أن نصدق السادة ، إنكم يا معشر
الأشراف منافقون ، لا تفكرون إلا فى
أن تخدعوا البنات .

دون جوان : أنا لست من هؤلاء :

سجاناريل : [وحده] إنه يضحك عليها :

شارلوت : أنت تعرف ياسيدى أنه لا فائدة من أن تفرط الفتاة فى عرضها . أنا فلاحة مسكينة ، ولكنى أتمسك بالشرف أكثر من كل شيء . وأفضل الموت على أن أفرط فى عرضى .

دون جوان : وهل تظنين أنى خسيس حتى أخدع فتاة مثلك ؟ وهل أكون جبانا حتى ألوث شرفك ؟ لا . لا . إن ضميرى لأكبر من ذلك . أنا أحبك يا شارلوت بكل إخلاص وبكل شرف . ولكى أظهر لك أننى أقول الحق ، اعلمى أنه لا مطمع لى سوى أن أتزوج منك . هل تريدين برهانا أعظم من هذا ؟ هأنذا مستعد للزواج منك عندما تريدين ، وفى أى وقت تشاءين ، وإنى لأتخذ من هذا الرجل شاهدا على الوعد الذى أعطيته لك .

سجاناريل : لا . لا . لا تخشى شيئاً سوف يتزوجك وقتما تشائين .

دون جوان : آه ، شارلوت ! يبدو لى أنك لم تعرفينى بعد ! إنك تسيئين إلى كثيراً إذ تحكمين علىّ بما تعرفينه عن الآخرين . وإذا كان هناك مخادعون فى العالم ، وقوم لا يبحثون إلا عن التغرير بالفتيات فعليك ، أن تخرجينى من زمرتهم وألا تشكّى أبدا فى صدق عواطفى . ثم إن جمالك يعتبر ضمانا لكل شىء ، فعندما تكون المرأة فى مثل فتنتك ، تكون آمنة من جميع أنواع الخوف ؛ صدقينى ، إنه لا يبدو عليك أنك واحدة ممن يغتصب شرفهن . ومن جهتى ، أعترف أننى أفضل تمزيق قلبى بآلاف الطعنات لو كانت لدىّ أدنى نية فى أن أغرر بك . .

شارلوت : آه يا ربى ! لا أدرى إن كان كلامك

صحيحاً أم لا ، ولكنك تتصرف بما يحملنى على تصديقك .

دون جوان : عندما تصدقيننى فإنك تقدريننى حق قدرى ، وهأنذا أكرر عليك ثانية الوعد الذى وعدتك به ، ألا تقبلين ؟ وألا تريدين الموافقة على أن تكونى زوجتى ؟

شارلوت : نعم ، إن كانت عمتى توافق .

دون جوان : أعطنى يدكِ إذن يا شارلوت ما دمت قد وافقت من جهتك .

شارلوت : ولكنى أرجوك يا سيدى ألا تخدعنى على الأقل ، إنها مسألة ضمير بالنسبة لك ، وأنت ترى أننى ارتبطت بك هنا بكل شرف .

دون جوان : كيف ؟ يبدو عليك أنك لا زلت تشكين فى إخلاصى ! هل تريدين أن أقسم لك بأغلظ الأيمان ؟ أقسم بالسماء . .

شارلوت : يا إلهى . . لا تقسم . إننى أصدقك .

دون جوان : إذن ، اعطنى قبلة صغيرة ضمانا لوعدك لى .

شارلوت : أوه . سيدى ! انتظر حتى نتزوج أرجوك ، وبعدها أقبلك كما تريد ؛

دون جوان : حسنا أيتها الجميلة شارلوت ليكن لك ما شئت ، دعى لى يدك فقط ، واسمحى لى أن أقبلها آلاف المرات تعبيراً عن الهيام الذى أشعر به نحوك .

المنظر الثالث

(بييرو — دون جوان — سجاناريل — شارلوت)

بييرو : [يدفع بعيدا دون جوان الذى كان يقبل يد شارلوت] إيه . . على مهلك يا سيدى ؛ تمالك نفسك من فضلك : لا تسلم نفسك هكذا للحرارة وإلا احترقت ؛

دون جوان : [يدفع بييرو بخشونة] من جاء بهذا الوقح إلى هنا ؟

بييرو : أقول لك ابتعد ولا تقبل نساءنا .

دون جوان [يستمر فى دفعه] آه . . يا للضوضاء !

بييرو : يا للشيطان ! لا يصح أن تدفع الناس هكذا .

شارلوت : [تأخذ بييرو من ذراعه] دعه يفعل يا بييرو .

بييرو : كيف ؟ أتركه يفعل ؟ أنا لا أريد ذلك أنا . !

دون جوان : آه . .

بييرو : يا للأبالسة ! ألأنك سيد من السادة تجىء إلى هنا لتقبل نساءنا أمام أعيننا ؟ هيا اذهب وقبل أهل بيتك .

دون جوان : هو آه . . !

بييرو : هو آه !

[دون جوان يضربه كفا] يا للشـــيطان !
لا تضربنى [صفعة أخرى] يا للشيطان !
لا يصح أن تضرب الناس هكذا . أهذا
جزائى على إنقاذك من الغرق ؟

شارلوت : بييرو . . لا تغضب

بييرو : لا بد أن أغضب . وأنت سافلة لأنك

تسمحين له بمغازلتك .

شارلوت : آه يا بييرو . الحكاية ليست كما تظن ، هذا السيد ، يريد أن يتزوجنى ، فلا يحق لك أن تغضب أو تزعج نفسك .

بييرو : كيف؟ يا للعنة ! أنت خطيبتى .

شارلوت : هذا لا يغير من الأمر شيئاً يا بييرو . إن كنت تحبنى حقاً ، فلا بد وأن تكون مسروراً لأنى سأصبح سيدة محترمة .

بييرو : يا للشياطين ! كلا . . أفضل أن أراك مشنوقة على أن أراك مع غيرى .

شارلوت : هيا هيا يا بييرو ، لا تحزن ، عندما أصبح سيدة محترمة سأجعلك تكسب شيئاً وتحضر لنا الزبد والجبن .

بييرو : يا للأبالسة ! لن أحضر شيئاً . حتى ولو دفعت لى الضعف . أيصح هكذا أن تسمعى كلامه ؟ يا للداهية ! لو كنت عرفت هذه الحكاية من قبل ، لعملت حسابى ولم أنقذه من الغرق ، وكنت

ضربته على رأسه بالمجداف ضربة قوية :

دون چوان : [يقترب من بيرو ليضربه] ماذا تقول ؟

بيرو : [يبتعد خلف شارلوت] أقسم بالله ! ! أنا لست خائفاً من أحد .

دون جوان : [يذهب إلى بيرو] انتظرنى قليلا : ٣

بيرو : [يذهب للناحيـة الأخرى لشارلوت] . أنا لا يهمنى شىء أنا .

دون جوان : [يجرى وراء بيرو] جرب هذه :

بيرو : [يهرب ثانية خلف شارلوت] إيه : : : إيه . . جربت غيرها كثيراً :

دون جوان : هكذا ؟

سجاناريل : إيه يا سيدى . . دع هـذا المسكين البائس وشأنه : من الحرام أن يضرب [يضع نفسـه بين بيرو ودون جوان] اسمع يا بنى المسكين ، انسحب من هنا ولا تقل له شيئاً .

بيرو : [يأتى أمام سجاناريل ويقول بفخر لدون جوان] كلا . أريد أنا أن أقول له شيئاً :

دون جوان : [يرفع يده ليصفع بييرو الذى يخفض رأسه ، ويأخذ سجاناريل لصفعة] آه . . سوف أعلمك . .

سجاناريل : [ينظر إلى بييرو الذى انحنى وتفادى الصفعة] ليأخذ الطاعون المغفل !

دون جوان : هذه مكافأتك على كرم أخلاقك .

بييرو : والله ! سأذهب وأقول لعمتها عن كل هذه الأفعال . هه ! . .

دون جوان : [لشارلوت] أخيرا سوف أكون أسعد رجل . ولن أغير سعادتى بكل كنوز العالم . أية ملذات ستظفرين بها عندما تصبحين زوجتى ، وأية . . .

المنظر الرابع

(ماتيورين — شارلوت — دون جوان — سجاناريل)

سجاناريل : [وقد رأى ماتيورين قادمة] آه . : آه : .

ماتيورين : [مخاطبة دون جوان] سيدى ! ماذا تفعل

هنا مع شارلوت ؟ هل تحدثها عن الحب
هى أيضاً ؟

دون جوان : [بصــوت منخفض لمــاتيورين] لا ،
بالعكس . إنها هى التى تظهر رغبتها فى
أن تكون زوجتى وقد أخبرتها أننى
مرتبط بك .

شارلوت : ماذا تريد ماتيورين منك ؟

دون جوان : [بصــوت منخفض لشــارلوت] إنها
غَيْرَى لأنى أتكلم معك ، وهى تريد
أن أتزوجها . ولكنى أخبرتها أننى
أريدك أنت .

ماتيورين : ماذا ؟ شارلوت ؟

دون جوان : [بصــوت منخفض لمــاتيورين] لافائدة من
أى شيء تقولينه لها . لقد صممت
على ذلك .

شارلوت : كيف ذلك ؟ ما تيورين ؟

دون جوان : [بصــوت منخفض لشــارلوت] لا فائدة

من الكلام معها ، لن تخرجى ذلك الوهم
من رأسها .

ماتيورين : هل حدث ما يدعو . . ؟

دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] لا توجد طريقة
لإرجاعها إلى الصواب .

شارلوت : كنت أريد . . .

دون جوان : [بصوت منخفض لشارلوت] إنها عنيــدة
كألف شيطان .

ماتيورين : أصحيح أنك تريدين . .

دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] لا تقولى لها
شيئاً . إنها مجنونة .

شارلوت : أعتقد أنك . . .

دون جوان : [بصوت منخفض لشارلوت] اتركيها وشأنها،
إنها أفاقة .

ماتيورين : لا . لا . لابد أن أتكلم معها .

شارلوت : أريد أن أعرف ما هى حجتها :

ماتيورين : ماذا ؟

دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] أراهن أنها سوف تقول لك إننى وعدتها بالزواج :

شارلوت : أنا . .

دون جوان : [بصوت منخفض لشارلوت] أراهنك أنها سوف تصرّ على أننى وعدتها بالزواج .

ماتيورين : اسمعى يارشالوت . ليس من الصواب أن يتدخل الإنسان فى الصفقات التى يعقدها الآخرون .

شارلوت : وليس من الشرف يا ماتيورين أن تغيرى لأن السيد يتكلم معى .

ماتيورين : إنها أنا التى رآها السيد أولا . .

شارلوت : إذا كان قد رآك أولا ، فأنا قد رآنى ثانيا ووعدنى بالزواج .

دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] ألم أقل لك ؟

ماتيورين : [إلى لشارلوت] امْض إلى حال سبيلك ! لقد وعدنى أنا بالزواج لا أنت . :

دون جوان : [لشارلوت] ألم أخمن ذلك ؟

شارلوت : قولى هذا لغيرى من السذج . إنها ؟ أنا ، قلت لك . أنا .

ماتيورين : أنت تضحكين على الناس . أقول لك مرة ثانية إنها أنا .

شارلوت : ها هو ذا الشخص الذى يستطيع أن يقول لك إذا ما كنت على حق .

ماتيورين : وها هو الشخص الذى يستطيع أن يكذبنى إذا كنت لم أقل الحقيقة :

شارلوت : أأنت وعدتها يا سيدى بالزواج ؟

دون جوان : [بصوت منخفض لشارلوت] أوه :: أنت تسخرين منى .

ماتيورين : هل صحيح يا سيدى أنك وعدتها بأن تكون زوجها .

دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] كيف تجرئين على مثل هذا التفكير ؟

شارلوت : أنت ترى أنها تؤكد الحكاية .

دون جوان : [بصوت منخفض لشارلوت] دعيها تفعل :
ماتيورين : أنت تشهد كيف إنها تؤكد ذلك !
دون جوان : [بصوت منخفض لماتيورين] دعيها تتكلم .
شارلوت : لا . . لا . لابد أن نعرف الحقيقة .
ماتيورين : لا بد من تقرير هذا الأمر .
شارلوت : نعم يا ماتيورين ! لابد وأن يظهر لك السيد غباوتك .
ماتيورين : نعم يا شارلوت ، وأنا أريد أن يذلك السيد ويكسر أنفك .
شارلوت : سيدى فض المعركة من فضلك :
ماتيورين : سوِّ ما بيننا من خلاف .
شارلوت : [إلى ماتيورين] سوف ترين الآن :
ماتيورين : [إلى شارلوت] سوف ترين أنت الآن :
شارلوت : [إلى دون جوان] تكلم .
ماتيورين : [إلى دون جوان] تكلم .
دون جوان : [مرتبك ويقول للاثنتين] ماذا تريدان منى أن أقول ؟ كلاكما متمسكة بأننى وعدتها

بالزواج ! ألا تعرف كل واحدة
منكما هذا الموضوع بدون أية حاجة
للمزيد من شرحى ؟ لماذا تضطرانى إلى
التكرار فى هذا الموضوع ؟ إن التى
وعدتها بالفعل ، ألا تجد فى نفسها
من الثقة ما يجعلها تسخر من كلام
الأخرى ؟ وهل يصح أن تزعج نفسها
لأنى لم أنفذ بعد وعدى ؟ إن الأعمال
لا تتم أبدا بالأقوال . يجب علينا أن
نعمل ، لا أن نتكلم . والأفعال أحسن
من الأقوال فى تقرير الأمور . وعلى
ذلك ، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى
أصالحكما بها : وسوف تريان عندما
أقرر الزواج أية واحدة منكما سوف
أتزوج [لماتيورين بصوت منخفض] اتركيها
تعتقد كما تريد . [لشارلوت بصوت منخفض]
اتركيها تعلل نفسها بالآمال .

[لماتيورين] إنى أعبدك [لشارلوت]
إنى ملك يديك .
[لماتيورين] كل الوجوه قبيحة بالنسبة
لوجهك [لشارلوت] عندما يراك
الإنسان ، لا يستطيع أن يحتمل رؤية
الأخريات . [بصوت مرتفع] سأذهب
لإصدار أمر بسيط وسوف أعود لأجدكما
هنا بعد ربع ساعة ؛

المنظر الخامس

(ماتيورين — شارلوت — سجاناريل)

شارلوت : [إلى ماتيورين] إنها أنا التى يحبها ؛

ماتيورين : [إلى شارلوت] وأنا التى سيتزوجها ؛

سجاناريل : يا لكما من فتاتين مسكينتين ! إننى
أرثى لسذاجتكما ، ولا أستطيع أن أحتمل
رؤيتكما وأنتما تسرعان إلى هلاككما ؛
صدقانى ، لا تنخدعا بالروايات التى
يرويها لكما وامكثا فى قريتكما ؛

المنظر السادس

(دون جوان ـ شارلوت ـ ما تيورين ـ سجاناريل)

دون جوان : [عائداً وحده فى الجهة الأخرى من المسرح] أريد أن أعرف لماذا لم يتبعنى سجاناريل ؟ .

سجاناريل : [إلى الفتاتين] إن سيدى مخادع غشاش ولا قصد له إلا أن يعبث بكما كما عبث بالأخريات ، إنه على استعداد للزواج من نساء العالم جميعاً . . [وقد لمح دون جوان] هذا كذب وبهتان ، وكل من يقول لكما ذلك ، فعليكما أن تقولا له « إنه كذاب » إن سيدى ليس بالرجل الذى يتزوج نساء العالم جميعاً . إنه ليس مخادعاً غشاشاً ، ولا يقصد العبث بكما ، كما لم يعبث بأية واحدة أخرى : . آه ، إليكما هاهو ذا قد أقبل ،

وأولى بكما أن تسألاه هو نفسه .

دون جون : (لنفسه) نعم .

سجاناريل : سـيدى ، بما أن العالم مملوء بالوشاية والنميمة ، فقد اتخذت بعض الخطوات على سبيل الاحتياط ، وكنت أقول لهما إن جاءهما أى إنسان واغتابك ، فعليهما أن يحذرا منه ، وألا يفوتهما أن يقولا له « إنه كذاب » .

دون جوان : سجاناريل .

سجاناريل : [إلى شارلوت وماتيورين] نعم ، إن سيدى رجل شريف ، وأنا أضمن ذلك . .

دون جوان : هون ؟

سجاناريل : إن النميمة من شيمة السفهاء :

المنظر السابع

(لارامى ـ دون جوان ـ شارلوت ـ
ماتيورين ـ سجاناريل)

لارامى : [منتحيا جانبا بدون جوان] سيدى ، جئت أنذرك أنه ليس من المناسب الآن أن تبقى هنا .

دون جوان : كيف ؟

لارامى : هناك اثنا عشر فارسا يبحثون عنك ، سيكونون هنا بعد لحظات . لا أعرف بأية طريقة استطاعوا أن يتابعوك ، لكنى علمت هذا الخبر من فلاح سألوه عنك وأعطوه وصفك . الحالة مستعجلة ، وكلما أسرعت فى الرحيل من هنا كلما كان ذلك أحسن .

المنظر الثامن

(دون جوان ــ ماتيورين ــ سجاناريل ــ شارلوت)

دون جوان : [لشارلوت وماتيورين] هناك أمر هام يضطرني إلى الرحيل عن هذا المكان ، ولكني أرجوكما أن تتذكرا الوعد الذي أعطيته لكما . وكونا واثقتين أنكما سوف تسمعان أخباري قبــل مساء الغد .

[شارلوت وماتيورين . تبتعدان . ينطلع دون جوان في اتجاه القادمين] بما أن المعركة ليست متكافئة ، فيجب إذن أن أستخدم الحيلة بمهارة لأتفادى الخطر الذي يتابعني . أريد أن يلبس سجاناريل ملابسي . وأنا . . .

سجاناريل : سيدى ، إنك تمزح ! تعرضني أن أقتل في ملابسك ، وأنا . .

دون جوان : هيا بسرعة . هذا شرف كبير أمنحك

إياه ، وما أسعد الخادم الذى يستطيع أن
ينال شرف الموت من أجل سيده ؛

سجاناريل : أشكرك لمثل هذا الشرف [وحده]
يا للسماء ! بما أن الموضوع يتعلق بالموت ،
فلتحرسنى العناية الإلهية حتى لا أوخذ
بذنب غيرى .

ســتار

الفصل الثالث

المنظر الأول

دون جوان « فى ملابس الفلاحين » سجاناريل
« فى ملابس دكتور »

سجاناريل : آه ! اعترف لى بربك يا سيدى أننى كنت على حق ، فيما نحن متنكران كأحسن ما يكون التنكر . لم تكن خطتك الأولى فى محلها بالمرة ، أما هذه الملابس فإنها تجعلنا نتخفى أحسن بكثير مما أردت أن تفعل .

دون جوان : إنك لمدهش حقا فى هذا الرداء ! ولا أستطيع أن أتصور من أين جئت بهذه الملابس المضحكة ؟

سجاناريل : نعم ، إنها ملابس طبيب ـ عجوز كانت مرهونة فى المحل الذى استحضرتها منه ،

وقد كلفنى الحصول عليها بعض النقود :
ولكن هل تعرف يا سيدى أن هذه
الملابس جعلتنى موضع الاحترام حتى أن
الناس يحيوننى كلما قابلتهم : ويستشيروننى
كأحد العلماء ؟

دون جوان : وكيف ذلك ؟

سجاناريل : رآنى خمسة أو ستة من الفلاحين
والفلاحات وأنا أمر بهم ، فأتوا إلى
وسألونى عن رأيي فى أمراضهم المختلفة ،

دون جوان : وقد أجبتهم بأنك لا تفهم شيئاً
فى الموضوع ؟

سجاناريل : أنا ؟ أبداً . . أردت أن أحافظ على
شرف ملابسى ، فتناقشت معهم
فى أمراضهم ، وأعطيت روشتة لكل
واحد منهم .

دون جوان : وما هى الأدوية التى وصفتها لهم ؟

سجاناريل : والله يا سيدى لقد انتخبتها كيفما اتفق ،
ووصفت دواء لكل الحالات ؛ وسيكون

هذا مضحكا حقا لو شفى المرضى وعادوا
إلى ليشكرونى .

دون جوان : ولم لا ؟ ما هو السبب الذى يجعلك
لا تملك نفس المزايا التى يملكها جميع
الأطباء ؟ إنى لا أراهم يقومون بأكثر
مما قمت به فى علاجهم للمرض . وكل
فنهم ليس سوى تعبيرات بالوجه ، وهم
لا يعملون شيئاً إلا الحصول على مجد
النجاح السعيد . وتستطيع أن تستفيد
مثلهم من مريض حسن الحظ : وأن
ينسب لأدويتك كل ما يمكن أن ينتج
من مساعدة الحظ أو فعل الطبيعة .

سجاناريل : كيف تكون يا سـيدى هكذا كافرا
بالطب . . ؟

دون جوان : إنه من أكبر أخطاء الإنسانية :

سجاناريل : ماذا ؟ إذن أنت لا تؤمن بالخردل
ولا بالشنير ، ولا بالنبيذ المقيئ ؟

دون جوان : ولماذا تريد أن أومن بها ؟

سجاناريل : أراك لا تؤمن بشيء على الإطلاق .
ومع ذلك فأنت ترى أن النبيذ المقيء
قد انتشر انتشاراً كبيراً وآمن بمعجزاته
أكثر الناس كفراً . ومنذ ثلاثة أسابيع
رأيت له أنا الذى أكلمك ، نتيجة
مدهشة .

دون جوان : وما هى ؟

سجاناريل : كان هناك رجل مضت عليه ستة أيام
وهو يحتضر ، ولم يكن أحد يعرف ماذا
يصف له ، ولم ينجح فى شفائه أى
دواء ! وفى آخر الأمر أعطوه النبيذ
المقيء .

دون جوان : ونجا من الخطر ، أليس كذلك ؟

سجاناريل : لا ، بل مات .

دون جوان : نتيجة مدهشة .

سجاناريل : كيف لا ؟ لقد مضى عليه ستة أيام

كاملة وهو لا يستطيع أن يموت ،
أما هذا الدواء فقد أجهز عليه فى الحال .
هل تريد شيئاً فعالا أكثر من هذا ؟ .

دون جوان : عندك حق .

سجاناريل : ولكن لنترك الآن الطب الذى لاتؤمن به ، ولنتكلم عن أشياء أخرى ، لأن هذه الملابس أنعشتنى وشحذت أفكارى ، وأشعر أن لى مزاجاً فى أن أتناقش معك . تعلم جيدا أنك سمحت لى بالمناقشات وأنك لم تحرّم علىّ سوى المواعظ .

دون جوان : حسنا . .

سجاناريل : أريد أن أصل إلى صميم أفكارك ! هل من الممكن ألا تؤمن أبدا بالسماء ؟

دون جوان لنترك هذا الموضوع .

سجاناريل : يعنى لا تؤمن . وبالنار ؟

دون جوان : إيه . . !

[سجاناريل : نفس الشىء . وبالشيطان من فضلك ؟

دون جوان : نعم ، نعم . .

سجاناريل : قليلا . ألا تؤمن أبدا بالحياة الأخرى ؟

دون جوان : آه ! آه ! آه ! . [يضحك]

[سجاناريل : آه . . ها هو ذا رجل يصعب على أن أرده إلى الإيمان . . وقل لى من فضلك ، جماعة الرهبان ماذا تعتقد فيهم ؟ هه ؟

دون جوان : لينزل بهم الطاعون ! .

سجاناريل : آه . . وهذا ما لا أطيق احتماله . لأنه لا شيء أكثر صدقا من جماعة الرهبان . وأنا مستعد أن أشنق فى سبيلهم . ومع ذلك لا بد أن يؤمن الإنسان بشيء ما فى هذاا العالم : فبأى شيء تؤمن أنت إذن . ؟

دون جوان : بأى شيء أومن ؟

سجاناريل : نعم .

دون جوان : أومن أن اثنين واثنين تساوى أربعة يا سجاناريل ، وأن أربعة وأربعة تساوى ثمانية .

سجاناريل : ما أجمل هذا الإيمان ! إذن فدينك على ما أرى هو « الحساب » . من الواجب أن نعترف بأن الحساب يضع أعجب الأفكار الجنونية فى رأس الإنسان . وأنه كلما بالغ الإنسان فى تحصيل العلم ، كلما أصبح فى الغالب أقل حكمة . أما من جهتى أنا يا سيدى ، فإننى والحمد لله لم أدرس مثلك ، وقد لا يفتخر الإنسان أبدا بأنه لم يدرس شيئاً ، ولكنى بفهمى الصغير ورأيى المتواضع ، أرى الأشياء أحسن مما تراها جميع الكتب . وأنا أفهم جيدا أن هذا العالم الذى نراه ، ليس عيش غراب نبت وحده شيطانيا فى ليلة واحدة :

وأريد أن أفهم منك : من خلق هذه
الأشجار ؟ وهذه الصخور ؟ وهذه
الأرض ؟ وهذه السماء المرتفعة فوقنا ؟
هل كل هذا قد خلق نفسه بنفسه ؟
ها أنت ذا مثلا ، هل أوجدت نفسك
بنفسك ؟ ألم يكن من الضرورى أن
يكون أبوك قد نفخ بطن أمك لتخرج
إلى العالم ؟ وهل تستطيع أن ترى كل
الأجهزة التى تتكون منها آلات
الجسم البشرى ، دون أن تعجب من
الطريقة التى ركبت بها الواحدة فى
الأخرى ؟ هذه الأعصاب ، وهذه
العظام ، وهذه الشرايين ، وهذه
الأوردة ، وهذه الرئة ، وهذا القلب ،
وهذا الكبد ، وكل هذه العناصر
الموجودة فيه ، والتى . . أوه ! قاطعنى
إذن إن شئت ، إننى لا أستطيع أن

أتناقش إذا لم يقاطعنى أحد . أنت

تسكت عمدا وتتركنى أتمادى فى الكلام

عن سوء قصد .

دون جوان : إننى أنتظر أن تنتهى من بسط آرائك .

سجاناريل : رأيي أنه مهما استطعت أن تقول ،

فإنه يوجد شىء ما فى الإنسان . .

رائع عجيب . . لم يستطع أن يشرحه

جميع العلماء . أليس عجيبا أننى هنا ،

وأن هناك شيئاً فى رأسى يفكر فى مئات

الأشياء المختلفة فى لحظة واحدة ،

ويتصرف فى جسدى كما يريد ؟ أريد

أن أصفق بيدى ، أرفع ذراعى ، أتطلع

بعينى إلى السماء ، أخفض رأسى ،

أحرك قدمى ، أذهب إلى اليمين ، إلى

اليسار ، إلى الأمام ، أدور إلى الخلف . .

[يقع وهو يستدير]

دون جوان : حسن ! هوذا برهانك ، وقد كسر أنفه !

ها ! ها ! ها !

سجاناريل : يالغبائى ! حقا ، أن أضيع وقتى فى المناقشة معك . فلتؤمن بما تريد أن تؤمن به ، ولتكن من الهالكين إذا شئت !

دون جوان : ولكنى أعتقد أننا «تهنا» أثناء هذه المناقشة ، ناد هذا الرجل الذى هناك لتسأله عن الطريق .

سجاناريل : هولا ، هوه ، أيها الرجل ! هوه ، يا أخ ! هوه ، أيها الصديق ! كلمة صغيرة من فضلك .

المنظر الثانى

(شحاذ — دون جوان — سجاناريل)

سجاناريل : أرشدنا إلى الطريق الذى يوصل إلى المدينة .

الشحاذ : ليس عليكما إلا أن تسيرا فى هذا الطريق يا سادتى ، ثم انحرفا إلى يمينكما عندما تصلا إلى نهاية الغابة ، ولكنى أنصحكما بأن تأخذا حذركما لأنه يوجد

بعض اللصوص قد انتشروا هنا وهناك،
منذ عدة أيام .

دون جوان : إنى أشكرك من كل قلبى أيها الصديق
لهذه النصيحة الغالية :

الشحاذ : إن أردت ياسيدى أن تساعدنى ببعض
الإحسان ؟

دون جوان : آه . . ها ! إذن كانت نصيحتك فى
سبيل منفعة على ما أرى .

الشحاذ : أنا رجل مسكين يا سيدى ؛ لجأت وحدى
إلى هذه الغابة منذ عشر سنوات ، ولن
يفوتنى أن أصلى لتمنحك السماء كل
أنواع الثراء .

دون جوان : هيه ! صل لها لكى تمنحك أنت رداء ،
دون أن تتعب نفسك وتتدخل فى شئون
الآخرين .

سجاناريل : أنت لا تعرف سيدى أيها الساذج ، إنه

لا يؤمن إلا بأن اثنين واثنين تساوى أربعة وأن أربعة وأربعة تساوى ثمانية .

دون جوان : وما هو عملك بين هذه الأشجار ؟

الشحاذ : أن أصلى للسماء طول اليوم كى تيسر للمحسنين الذين يعطوننى شيئاً .

دون جوان : إذن أنت موسر لست فى حالة من العسر .

الشحاذ : واحسرتاه يا سيدى ! إنى فى أشد الحاجة والعوز .

دون جوان : أنت تمزح : رجل يصلى للسماء طول النهار لا يمكن إلا أن يكون فى حالة يسر ورخاء .

الشحاذ : أؤكد لك يا سيدى أننى لا أجد فى أغلب الأحيان قطعة من الخبز أتبلغ بها .

دون جوان : هذا شىء عجيب . لقد جوزيت شر جزاء على صلواتك . آه ، سوف أعطيك جنيها من الذهب فى الحال على شرط أن تكفر بالسماء .

الشحاذ : آه يا سيدى ! أتريد أن أرتكب مثل
هذه الخطيئة ؟

دون جوان : عليك أن تقرر إذا كنت تريد أن تحصل
على جنيه من الذهب أم لا . هذا جنيه
أعطيه لك إذا كفرت بالسماء : هيا . .
هيا يجب أن تكفر بالسماء !

الشحاذ : سيدى : : :

دون جوان : لن تحصل عليه بدون ذلك :

سجاناريل : هيا . : هيا . : جدف بالله قليلا ،
لا ضرر فى ذلك :

دون جوان : خذ قلت لك ، خذ . . ولكن جدف
إذن بالله .

الشحاذ : لا يا سيدى أفضل أن أموت من الجوع .

دون جوان : هيا هيا إننى أعطيه لك إكراما للإنسانية
[ينظر من جانب الغابة] لكن ماذا أرى
هناك ؟ رجل واحد يهاجمه ثلاثة ؟ المعركة

ليست متكافئة . : ولا أستطيع أن أتحمل
هذه النذالة [ويخرج]

المنظر الثالث

سجاناريل : [وحده] سيدى رجل متهور جداً
إذ يعرض نفسه لخطر لا يسعى إليه ،
لكن والله ، لقد أثمرت المساعدة ،
واستطاع الاثنان أن يجبرا الثلاثة على
الهرب :

المنظر الرابع

(دون كارلوس – دون جوان – سجاناريل)

دون كارلوس : [سيفه فى يده] إننى مدين لذراعيك بفرار
هؤلاء اللصوص ، فاسمح لى يا سيدى
أن أرد لك الشكر على مثل هذا العمل
الكريم ، ولئن : :

دون جوان : [يعود وسيفه فى يده] أنا لم أفعل شيئاً

يا سيدى أكثر مما كنت تفعله لو كنت
فى مكانى . إن شرفنا يتوقف على مثل
هذه المخاطرات . وفعلة هؤلاء الأنذال ،
كانت من الدناءة بحيث إننى لو لم
أقاومهم لكنت مشتركاً معهم . ولكن
أية مناسبة ألقت بك فى أيديهم ؟

دون كارلوس : ضللت الطريق صدفة بعيداً عن أخى
وعن جميع أتباعنا ، ولما حاولت اللحاق
بهم ثانية ، قابلت هؤلاء اللصوص
الذين قتلوا جوادى أولا وكادوا يقضون
على أنا أيضاً لولا شجاعتك .

دون جوان هل تزمع الذهاب إلى المدينة ؟

دون كارلوس : نعم . ولكنى لا أريد أن أدخلها ، لأنى
مضطر أنا وأخى أن نمكث فى الريف
بعيدا عن ديارنا ، لأمر من تلك الأمور
الشاقة التى تضطر أشراف الناس إلى أن

يضحوا بأنفسهم وبعائلاتهم ذودا عن
الشرف الرفيع . وهذا مهما تحقق له من
نجاح فإنه ينتهى دائماً بالنكبات . لأنه إذا
لم يفقد المرء حياته فى هذا السبيل فإنه
يضطر اضطراراً إلى مغادرة الوطن :
ولهذا أجد الرجل النبيل فى وضع تعس
لا يحسد عليه . لأنه مهما كان سلوكه
الشخصى رشيداً وشريفاً فهو لا يمتلك
حياته ، بل تتوقف راحته وأملاكه على
نزوة أول منحط جرىء يصر على إتيان
إحدى تلك الإهانات التى تضطر الرجل
النبيل إلى أن يفقد حياته من أجلها :

دون جوان : هذه الترضية هى أننا نستطيع أن نجعل
هؤلاء الذين أهانونا من باب اللعب
والطيش يواجهون نفس المتاعب التى
نتعرض لها . ولكن ألا يكون ذلك من
الفضول أن أسألك عن قضيتك ؟

دون كارلوس : لم تعد القضية فى حاجة إلى أن نجعلها

سرا . عندما تنتشر الإهانة ، فإن
شرفنا لا يميل بنا نحو إخفاء فضيحتنا ،
بل إلى إعلان خطة الانتقام التى ندبرها :
وعلى ذلك يا سيدى ، فأنا لا أتردد فى أن
أقول لك إن الإهانة التى نريد أن نثأر
لها ، تختص بشقيقة لنا غرر بها وخطفت
من الدير ، والذى قام بهذه الإهانة هو
دون جوان تنوريو ابن دون لويس
تنوريو . إننا نبحث عنه منذ بضعة أيام
وقد تابعناه هذا الصباح حسب تقدير أحد
الخدم الذى قال إنه خرج ممتطيا جوادا
برفقة أربعة أو خمسة من رجاله ،وإنه اتخذ
طريقه على طول هذه الضفة . ولكن
كل مجهوداتنا ضاعت عبثا ، ولم نستطع
أن نعرف ما جرى له .

دون جوان : وهل تعرف يا سيدى دون جوان هذا
الذى تتكلم عنه ؟

دون كارلوس : لا ، فأنا شخصيا لم أره أبداً : ولكنى
سمعت وصفه فقط من أخى . ولا تدل
شهرته على أنه يتمتع بسمعة طيبة . فهو
رجل تكاد حياته . .

دون جوان : كفى يا سيدى أرجوك ، فهو واحد من
أصدقائى ، ولو سمحت لأحد أن يغتابه
لكان هذا جبنا منى .

دون كارلوس : إكراما لك يا سيدى ، لن أقول عنه
شيئاً ألبتة . وأقل ما أدين لك به بعد أن
أنقذت حياتى ، هو أن أسكت عن الكلام
أمامك عن شخص تعرفه إذا كنت
لا أستطيع إلا أن أذكره بسوء . ولكن
مهما كنت أنت صديقه ، فإننى أتعشم
ألا تكون موافقا على فعلته هـذه ،
وألا تجد غرابة فى بحثنا عنه للثأر منه :

دون جوان : بالعكس ، سوف أساعدكما فى هذه
المأمورية وأوفر عليكما متاعب لا جدوى

منها . إنى صديق لدون جوان ولا أستطيع
أن أتخلص من ذلك ، ولكن ليس من
المعقول أنه يهين بعض النبلاء ولا يعاقب ،
وإنى لأتعهد بأن أجعله يقدم لكما
اعتذاراته .

دون كارلوس : وأية اعتذارات يمكن أن تقدم عن مثل
هذه الإهانات ؟

دون جوان : كل ما يتطلبه رد شرفكم . ولكى لا أحملكم
مزيداً من البحث عن دون جوان ، آخذ
على عاتقى أن أجعله يحضر إلى المكان الذى
تريدانه ، وفى أى وقت يطيب لكما .

دون كارلوس : هذا الأمل يثلج صـــدورنا يا سيدى
ويرضى كرامتنا المهانة . ولكن بعد الذى
أنا مدين لك به فإنه يؤلمنى أشد الألم أن
تكون من أصدقائه وتقف إلى جانبه .

دون جوان : إنى مرتبط بدون جوان ارتباطاً قوياً حتى
إنه لا يحارب إلا وحاربت معـــه .
بالاختصار ، يسمح لى ما بيننا أن أتكلم

باسمه ، وما عليك إلا أن تقول : متى
تريد منه أن يظهر ويقدم لك الترضية ؛

دون كارلوس : ما أسوأ حظى أن أدين لك بحياتى ، ويكون
دون جوان واحداً من أصدقائك .

المنظر الخامس

(دون ألونس وثلاثة من أتباعه — دون جوان —
دون كارلوس — سجاناريل)

دون ألونس : دعوا الجياد تشرب هناك ثم أحضروها
وراءنا ، أريد أن أسير قليلا على قدمى
[يراهما] يا للسماء ! ماذا أرى هنا ؟
ماذا ؟ أخى ؟ أهذا أنت تقف مع عدونا
اللدود ؟

دون كارلوس : عدونا اللدود ؟

دون جوان : [يتراجع ثلاث خطوات واضعاً يده على سيفه]
نعم أنا دون جوان بنفسه ؛ ولن يضطرنى
عددكم على أن أنكر اسمى .

دون ألونس : [يسحب سيفه] آه أيها الخائن ، يجب أن
تموت . و . . .

دون كارلوس : آه ! يا أخى قف . أنا مدين له بحياتى ،
ولولا معاونة ساعده ، لقتلنى بعض
اللصوص الذين صادفتهم فى طريقى .

دون ألونس : وهل تريد أن يقف هذا السبب دون
أخذنا بالثأر ؟ إن كل ما تقدمه يد العدو
من خدمات لا تأثير له فى نفوسنا . وإذا
كان من الضرورى أن يقاس الجميل
بالإهانة ، فاعترافك بالجميل يا أخى
فى هذه الحالة يعتبر مضحكا . لأنه
بما أن الشرف أغلى بكثير من الحياة .
فإن أى جميل ندين به لإنسان سلبنا
شرفنا يعتبر لا قيمة له إطلاقا .

دون كارلوس : أعرف يا أخى أن على الرجل النبيل أن
يفرق دائماً بين الواحدة والأخرى :
واعترافى بالجميل لا يمكن أن يمحو من
من نفسى أثر تلك الإهانة ، ولكن

اسمح لى أن أرد له هنا ما أدانني به ؛
وأن أوفى ما على فى الحال بأن نؤجل
ثأرنا منه ثمنا لحياتى التى أدين بها له ،
وأن نترك له حرية التمتع بضعة أيام
بثمرة جميلة .

دون ألونس : لا . لا . إننا نجازف بانتقامنا لو أجلناه ،
وقد لا تعود ثانية فرصة الثأر منه :
إن السماء تقدمه لنا الآن ، وعلينا نحن
أن نستفيد من ذلك . عندما يجرح
شرف الإنسان جرحا مميتا ، فلا ينبغى
له أن يفكر فى أى اعتبار آخر : وإذا
كنت تكره أن تقدم لى معونتك فى هذه
الحادثة ، فما عليك إلا أن تنسحب
وتترك لساعدى شرف مثل هذا
الانتقام .

دون كاراوس : أتضرع إليك يا أخى . .

دون ألونس : لا فائدة من كل هذا الكلام ، يجب
أن يموت .

دون كارلوس : توقف يا أخى قلت لك . لن أتحمل أبداً
أية محاولة للقضاء على حياته ، وأقسم
بالسماء أننى سوف أدافع عنه هنا ضد
أى إنسان كائنا من كان ، وسوف
أعرف كيف أجعل من حياتى التى
أنقذها درعا له . ولن تصل طعناتك
إليه إلا بعد أن تخترق صدرى .

دون ألونس : ماذا ؟ أتأخذ جانب عدونا ضدى ؟
وبدلا من أن تتملكك نفس المشاعر
التى أشعر بها نحوه ، تظهر له المودة
والعطف ؟

دون كارلوس : أخى ، دعنا نظهر الاعتدال فى ثأرنا
العادل ، ولا ننتقم لشرفنا بمثل هذا
الاندفاع الذى تظهره : فلنملك زمام
شجاعتنا ، ولا ننحرف بها إلى طريق
التوحش ، ولنتصرف فى الأمور بعد
استشارة عقولنا ، لا كما يدفعنا الغضب

الأعمى لا أريد أبداً يا أخي أن أظل
مديناً لعدوى . فإن له علىّ ديناً يجب أن
أؤديه قبل أى شيء آخر . وانتقامنا لن
يكون أقل روعة إذا أجاناه . بل على
العكس سيعلى ذلك من شأنه ، وتنازلنا
عن هذه الفرصة ، سيجعل انتقامنا يظهر
أكثر عدلة فى أعين الناس جميعاً .

دون ألونس : آه ! يا له من ضعف عجيب وضلال
مروع أن يخاطر الإنسان هكذا بمصالح
شرفه من أجل فكرة مضحكة لدين
وهمى .

دون كارلوس : كلا يا أخى ، لا تنزعج ، إذا كنت
أرتكب خطأ ، فأنا أعلم جيداً كيف أصلح
خطئى ؛ وإنى لآخذ على عاتقى كل
ما يتطلبه شرفنا . أنا أعرف جيداً
ما يقتضيه الشرف ، وهذا التأجيل ليوم
واحد الذى يتطلبه اعترافى بالجميل ،
لن يفعل سوى أن يضاعف حماستى لإرضاء

شرفى . دون جوان ! أنت ترى كيف
أننى مهتم برد الجميل الذى قدمته لى ،
وعليك أن تحكم من هذا على الباقى ،
وأن تؤمن بأننى سوف أسدد بنفس
الحرارة ما أدين به لشرفى ، ولن أكون
أقل دقة فى أن أرد لك الإهانة كما رددت
لك الجميل . أنا لا أجبرك أبداً على أن
تشرح الآن مشاعرك . وأترك لك الحرية
فى أن تفكر على مهل فى القرارات التى
يجب أن تتخذها . أنت تعلم جيداً جسامة
الإهانة التى ارتكبتها فى حقنا . وإنى
لأحكمك فى ما تتطلبه هذه الإهانة من
إصلاح . هناك طرق معتدلة لإرضائنا ،
وهناك طرق عنيفة ودموية . ولكن مهما
كان اختيارك ، فقد وعدتنى بأن دون
جوان سوف يقدم لى الترضية اللازمة :
فأرجوك إذن أن تقدم هذه الترضية من
أجلى . وتذكر أننى خارج هذا المكان لن

أدين بشيء إلا لشر .

دون جوان : إننى لم أطلب منك شيئاً . وسيكون لك ما وعدتك به !

دون كارلوس : هيا يا أخى ، إن شيئا من التوفيق لن يقلل من صرامة الواجب .

المنظر السادس

(دون جوان — سجاناريل)

دون جوان : هولا ! هيه : سجاناريل :

سجاناريل : أمرك يا سيدى ؟

دون جوان : كيف ؟ أتهرب يا وغد عندما يهاجموننى ؟

سجاناريل : سامحنى يا سيدى . كنت على بعد خطوات من هنا . يظهر أن هذا الرداء يسبب الإسهال ، ويعمل عمل الشربة فى كل من يرتديه :

دون جوان : ليأخذك الطاعون أيها الوقح ! غط جبنك على الأقل برداء أكثر شرفا : أتعرف

من ذا الذى أنقذت حياته ؟

سجاناريل : أنا ، ؟ لا .

دون جوان : إنه شقيق الفيرا .

سجاناريل : شـ . . شقيق الـ . . !!

دون جوان : إنه رجل شريف وقد عاملنى معاملة طيبة ، وإنى لآسف للخصومة التى بيننا .

سجاناريل : فى إمكانك أن تسوى كل شىء .

دون جوان : نعم ، ولكن عاطفتى نحو دونا الفيرا قد تلاشت وانتهت . ثم إن القيود لا تتفق مع طبيعتى . إنى أحب الحرية فى الحب كما تعلم ، ولا أرتضى لقلبى أن يسجن بين أربعة جدران . قلت لك عشرين مرة ، بأن عندى ميلا طبيعياً يجعلنى أستسلم لكل من تستهوينى . إن قلبى ملك لجميع الفاتنات ، وعليهن أن يأخذنه كل بدورها ، وأن يحتفظن به قدر ما يستطعن. ولكن ما هذا البناء الفخم الذى أراه بين

هذه الأشجار .

سجاناريل : ألا تعرف ما هذا ؟

دون جوان : كلا . .

سجاناريل : إنه القبر الذى أوصى الحاكم ببنائه قبل أن يموت بطعنة سيفك .

دون جوان : آه ، هذا صحيح ! لم أكن أعرف أنه قد أقيم فى هذه الناحية . لكم حدثنى الناس عن روعة هذا البناء كعمل فنى ، وكذلك عن تمثال الحاكم ، وأريد أن أذهب لأراه ،

سجاناريل : لا تذهب إلى هناك يا سيدى .

دون جوان : لماذا ؟

سجاناريل : ليس من اللائق أن تزور رجلا قتلته .

دون جوان : بالعكس . هذه زيارة للمجاملة والتحية ، وعليه أن يتقبلها بكل ترحاب لو كان ظريفا حقا . هيا لنمض إلى الداخل . . .

[يتغير المنظر ، وتنفتح المقبرة ، ويبدو قبر عظيم بجوره تمثال الحاكم .]

سجاناريل : آه ! ما أجمل هذا ! يا للتماثيل الرائعة ! يا للرخام البديع ! آه ، ما أجمل هذه الأعمدة ! آه ، ما أجمل كل هذا ! ما رأيك يا سيدى ؟

دون جوان : رأيي أن أى رجل ميت لا يطمع فى أكثر من هذا . وما أراه عجيبا حقا ، هو أن رجلا كان يقنع فى حياته بمسكن بسيط ، يملك مثل هذا المسكن الفخم فى الوقت الذى هو ليس فى حاجة إليه .

سجاناريل : هذا هو تمثال الحاكم :

دون جوان : يا للعجب ! إنه يبدو مضحكا وهو فى زى إمبراطور رومانى .

سجاناريل : حقا يا سيدى إنه مصنوع جيدا ، ويبدو كأنه حى وسيتكلم ، إنه يرمقنا بنظرات كان من الممكن أن تخيفنى لو كنت وحدى . وأعتقد أنه غير مسرور من رؤيتنا :

دون جوان : إنه مخطئ ! لأنه بذلك يقابل شرف

مجيئنا إليه أسوأ مقابلة .

اسأله إن كان يريد أن يأتى لتناول العشاء معى .

سجاناريل : هذا شيء لا يحتاج إليه على ما أعتقد .

دون جوان : اطلب إليه ذلك ، أقول لك ؟

سجاناريل : أنت تسخر بكل تأكيد لأنه من الجنون أن يكلم الإنسان تمثالا .

دون جوان : افعل ما آمرك به .

سجاناريل : يا للغرابة ! سيدى الحاكم ! [على حدة] أنا أضحك من غبائى ! ولكن سيدى هو الذى يجعلنى أفعل ذلك — سيدى الحاكم ! إن سيدى دون جوان يسألك إن كنت تشرفه بالزيارة لتناول العشاء معه ؟ [لتمثال يخفض رأسه] آه . . !

دون جوان : ماذا جرى ؟ ما بك ؟ قل لى إذن ؟ هلا تكلمت ؟

[سجاناريل يأتى نفس الإشارة ، أى يخفض رأسه مثل التمثال] .

سجاناريل : التمثال . .

دون جوان : حسن ، ماذا تريد أن تقول أيها الوغد ؟

سجاناريل : أقول إن التمثال . .

دون جوان : حسن ، ماذا بالتمثال ؟ تكلم وإلا قضيت عليك .

سجاناريل : التمثال ، أومأ إلى . .

دون جوان : ليأخذك الطاعون أيها الوغد .

سجاناريل : أومأ إلى قلت لك . وليس هناك شيء أصدق من هذا . اذهب وكلمه أنت بنفسك لكى ترى ؟ فربما . .

دون جوان : تعال أيها اللص ، تعال ! وسوف أجعلك تتبين جبنك بنفسك انتبه ! هل يتكرم سيدى الحاكم بالمجىء للعشاء معى ؟

[التمثال يخفض رأسه مرة أخرى] .

سجاناريل : إنى أعطى هذا المشهد مقابل عشرة « بستولات » ! وبعد ! ما قولك فى هذا يا سيدى ؟

دون جوان : هيا ! لنخرج من هنا .

سجاناريل : أوه . هذا أحد أصحاب العقول الجامحة التى لا تريد أن تؤمن بشىء .

[يخرج] .

[ستار]

الفصل الرابع

المنظر الأول

(دون جوان ـــ سجاناريل)

دون جوان : مهما يكن من أمر . فلنترك الحديث في هذا الموضوع ، إنه لا يعدو أن يكون شيئاً تافها ، ولعلنا خدعنا في نهار ملبد بالغيوم ، أو لعلنا فوجئنا بشيء من الاضطراب صعد إلى رؤوسنا فاختلط بالوهم نظرنا .

سجاناريل : آه . . ! سيدى ، لا تحاول أن تكذب ما رأيناه بعيوننا هذه . فلا شيء أكثر حقيقة من إشارة الرأس التي رأيناها . ولا شك أن السماء وقد استنكرت الحياة التي تحياها ، أرادت أن تقدم لك هذه

المعجزة لكى تقنعك ولكى تنتشلك من . . .

دون جوان : اسمع . إن كنت ستضايقنى بمزيد من مواعظك الأخلاقية الحمقاء ، أو إن قلت لى ثانية أقل كلمة فى هذا الموضوع فسوف أستدعى شخصا يحضرلى «كرباجا» وأجعل ثلاثة أو أربعة يكتفونك وأضربك ضربا مبرحا . . هل فهمتنى جيداً ؟

سجاناريل : حسن جداً يا سيدى ، لقد فهمتك خير فهم . . فأنت تشرح ما فى نفسك بوضوح ، وأحسن ما فيك ، هو أنك لا تحاول اللف والدوران ، إنك تشرح الأشياء بدقة عجيبة .

دون جوان : هيا ، ليقدم لى العشاء فى أقرب وقت ممكن . إلىّ بمقعد هنا أيها الغلام :

المنظر الثانى

(لافيوليت — دون جوان — سجاناريل)

لافيوليت : سيدى ، صديقك المسيو ديمانش التاجر يطلب التحدث إليك .

سجاناريل : حسن ، لم يعد ينقصنا إلا تحية رجل من الدائنين . لماذا يجئ لمطالبتنا بالنقود ؟ ولِمَ لَمْ تقل له إن سيدى ليس بالمنزل .

لافيوليت : قلت له ذلك من ثلاثة أرباع الساعة ، ولكنه لا يريد أن يصدق وجالس فى البهو الخارجى ينتظر يا سيدى

سجاناريل : دعه ينتظر ما شاء له الانتظار .

دون جوان : لا . بالعكس ، دعه يدخل ، إنها سياسة رديئة جداً أن يخفى الإنسان نفسه عن الدائنين ، من المستحسن أن ندفع لهم شيئاً ما ، وأنا أملك السر الذى يجعلهم

ينصرفون وهم مسرورين منشرحين
دون أن أعطيهم صلديا واحداً .

المنظر الثالث

(مسيو ديمانش — دون جوان — سجاناريل —
راجوتان — لافيوليت)

دون جوان : [وهو يقابله بترحيب كبير] آه يا سيد
ديمانش ، اقترب : كم أنا سعيد
لرؤيتاك ، وكم أود أن أعاقب خدمى
لأنهم لم يدخلوك فى الحال ! صحيح أننى
كنت قد أصدرت أمرى بعدم رغبتى
فى الكلام مع أى إنسان ، ولكن هذا
الأمر لا يسرى عليك ، ومن حقك
ألا تجد بابا مغلقا فى وجهك وأنت
فى منزلى .

مسيو ديمانش : أشكرك جداً يا سيدى :

دون جون : [مخاطبا خدمه] آه أيها السفلة ، سأعلمكم

كيف تتركون السيد ديمانش ينتظر
فى بهو الانتظار . وسوف أجعلكم
تعرفون أقدار الناس .

مسيو ديمانش : هذا شيء بسيط يا سيدى .

دون جوان : [للسيد ديمانش] كيف ؟ أيقال ؟ ؛ للسيد
ديمانش ، أحسن أصدقائى أننى لست
هنا .

مسيو ديمانش : أنا خادمك يا سيدى وقد جئت . . .

دون جوان : أسرعوا وهاتوا كرسياً للسيد ديمانش

مسيو ديمانش : يا سيدى إننى مرتاح هكذا . .

دون جوان : كلا ، كلا ، أريدك أن تجلس بالقرب
منى .

مسيو ديمانش : ليس هذا من الضرورى

دون جوان : إرفعوا هذا المقعد ، وأحضروا مقعداً آخر
له ظهر ومساند .

مسيو ديمانش : أنت تمزح يا سيدى ، و . . .

دون جوان : لا ، لا ، أنا أعرف ما أدين لك به ،

ولا أريدهم أن يجعلوا فرقاً هناك بيننا .

مسيو ديمانش : سيدى . .

دون حوان : هيا . . تفضل بالجلوس .

مسيو ديمانش : ليس هناك ما يدعو يا سيدى ، فليس لدى سوى كلمة أقولها : كنت أريد . . .

دون جوان : تفضل بالجلوس هنا ، أقول لك : ...

مسيو ديمانش : لا يا سيدى إننى مرتاح هكذا لقد جئت من أجل . .

دون جوان : كلا ، لن أستمع إليك ما لم تكن جالساً :

مسيو ديمانش : سيدى ، إننى سأفعل ما تريد . إننى : .

دون جوان : مدهش يا مسيو ديمانش ! إنك تبدو فى صحة جيدة .

مسيو ديمانش : نعم يا سيدى ، فى خدمتك . لقد جئت . :

دون جوان : إن عندك ذخيرة عجيبة من الصحة : شفتان حمراواتان ووجه متورد : وعينان تفيضان بالحيوية . .

مسيو ديمانش : كنت أود . . .

دون جوان : وكيف صحة زوجتك مدام ديمانش ؟

مسيو ديمانش : على ما يرام يا سيدى ، حمداً لله . .

دون جوان : إنها سيدة طيبة . .

مسيو ديمانش : إنها خادمتك يا سيدى ، وقد جئت . . .

دون جوان : وابنتك الصغيرة كلودين ، كيف حالها ؟

مسيو ديمانش : على ما يرام . .

دون جوان : يا لها من فتاة صغيرة وجميلة ! إنى أحبها من كل قلبى .

مسيو ديمانش : هذا يشرفها كثيراً يا سيدى . . وأريد . .

دون جوان : والصغير كولان . هل ما زال يحدث الكثير من الضجيج على طبلته ؟

مسيو ديمانش : نفس الشىء دائماً يا سيدى . . وأنا . .

دون جوان : وكلبك الصغير بروسكيت ؟ هل ينبح دائماً بصوت عال ، وهل لا يزال يعض زائريك فى أرجلهم ؟

مسيو ديمانش : أكثر من أى زمن مضى يا سيدى . إننا لا نجد سبيلا لمنعه من ذلك .

دون جوان : لا تندهش إذا كنت أستفسر عن أخبار عائلتك بأكملها لأنى أهتم بها كثيراً .

مسيو ديمانش : إننا نشكرك غاية الشكر على ذلك يا سيدى . إننى . . .

دون جوان : [يمد له يده] هات يدك إذن يا سيد ديمانش . هل أنت حقا من أصدقائى ؟

مسيو ديمانش : أنا خادمك يا سيدى . .

دون جوان : وأنا لك من كل قلبى .

مسيو ديمانش : إنك تشرفنى كثيراً جداً . . وأنا . .

دون جوان : لا يوجد شىء لا أعمله من أجل خاطرك . .

مسيو ديمانش : إنك طيب جدا معى يا سيدى :

دون جوان : وأرجو أن تصدق أن هذا بدون أى غرض .

مسيو ديمانش : أنا لا أستحق أبداً هذا الكرم بكل تأكيد . ولكنى يا سيدى كنت : : :

دون جوان : على فكرة ، قل لى يا سيد ديمانش هل لك أن تتناول العشاء معى بدون تكليف ؟

مسيو ديمانش : لا يا سيدى ، يجب أن أعود إلى المنزل سريعاً . وأنا . .

دون جوان : [يقف] كما تريد . . احضروا مشعلا بسرعة لتنيروا الطريق للسيد ديمانش ، وليحمل أربعة أو خمسة من رجالى الغدارات لحراسته .

مسيو ديمانش : لا داعى لذلك يا سيدى ، أستطيع أن أذهب وحدى ، لكن . . .

: [سجاناريل يسحب الكراسى بسرعة]

دون جوان : كيف ؟ سأجعلهم يقومون بحراستك ، لأننى أهتم بك جداً ، وأنا فى خدمتك ، وزيادة على ذلك فأنا مدين لك : :

مسيو ديمانش : آه يا سيدى . .

دون جوان : هذا شيء لا أنكره أبداً وأنا أقوله للجميع .

مسيو ديمانش : إذا سمحت : : :

دون جوان : هل تريد أن أصحبك إلى الباب الخارجى ؟

مسيو ديمانش : آه يا سيدى ، أنت تمزح : : سيدى : :

دون جوان : عانقنى إذن أرجوك ، وأرجوك مرة أخرى أن تكون مقتنعا بأننى تحت أمرك ، وأنه لا يوجد شيء فى العالم لا أعمله لخدمتك . [يخرج]

المنظر الرابع

(سجاناريل – مسيو ديمانش)

سجاناريل : يجب أن نعترف بأنك تجد فى سيدى رجلا يحبك كثيراً .

مسيو ديمانش : هذا حق ، لقد رحب بى كثيراً وحيانى

كثيراً حتى إننى لم أستطع أبداً أن أطالبه بالنقود ؛

سجاناريل : أؤكد لك أن أهل بيته جميعاً على استعداد لتضحية أنفسهم من أجلك وأتمنى أن يحدث لك أى حادث ، أو أن يفكر إنسان فى ضربك بالعصى وسوف ترى بأية طريقة ...

مسيو ديمانش : أعتقد ذلك ، ولكن ، أرجوك يا سجاناريل أن تقول له كلمة صغيرة عن نقودى .

سجاناريل : آه ! لا تهتم بذلك ، سوف يدفع لك كأحسن ما يدفع إنسان فى العالم .

مسيو ديمانش : لكن أنت يا سجاناريل ، إنك مدين لى بما أخذته منى لحسابك الخاص ؟

سجاناريل : أوف . لا تتكلم عن هذا ..

مسيو ديمانش : كيف ؟ أنا ...

سجاناريل : ألا أعرف جيداً أننى مدين لك ؟

مسيو ديمانش : نعم تعرف ، ولكن ...

سجاناريل : هيا يا سيد ديمانش ، سأنير لك الطريق .

مسيو ديمانش : ولكن نقودى .. ؟

سجاناريل : [يأخذ مسيو ديمانش من يده هل تمزج ؟

مسيو ديمانش : أريد ..

سجاناريل : [سحبه] إيه ؟

مسيو ديمانش : أعنى ..

سجاناريل : [يدفعه نحو الباب] كلام فارغ ..

مسيو ديمانش : ولكن ...

سجاناريل : [يدفعه] أوف .. !

مسيو ديمانش :. . . أنا . . .

سجاناريل : [بدفعه خارج لمسرح] أوف هيا أقول لك .

المنظر الخامس

(دون لويس — دون جوان — لافيوليت — سجاناريل)

لافيوليت : سيدى ، ها هو ذا السيد الوالد .

دون جوان : آه ! هأنذا على أحسن حال : لم يكن .

ينقصنى إلا هذه الزيارة لتكمل مضايقاتى

دون لويس : أرى جيداً أننى أضايقك ؛ وأنك كنت تفضل الاستغناء عن مجيئى ، ونحن فى الواقع نتفق فى هذا بشكل غريب ، فإن كنت تتضجر من رؤيتى . فأنا أتضجر كذلك من سلوكك الفاضح . وا آسفاه ما أقل إدراكنا لما نفعل عندما لا نترك للسماء رعاية ما نحتاج إليه ، وعندما نريد أن نكون أكثر حكمة منها ، ونلح عليها فى رغباتنا العمياء وطلباتنا الطائشة ! لقد تمنيت ابنا بحماس لا نظير له . وكنت أطلب ذلك بدون انقطاع وأنا شديد التأثر بدرجة لا تصدق ، وهذا الابن الذى حصلت عليه ، بعد أن أزعجت السماء بدعواتى ، هو مصدر الألم والعذاب لهذه الحياة نفسها ، التى كنت أعتقد أنه سيكون لها بهجة وعزاء .

فماذا تظننى أرى فى ازدياد رذائلك ؟
وأى عذر أقدمه أمام الناس ؟ إن سلسلة
جرائمك التى لا نهاية لها ، اضطرتنى أن
أزعج فى كل ساعة حاكمنا الطيب ،
حتى إننى استفدت كل حظوة لى عنده
فى مقابل خدماتى الخاصة ، وكذلك
حظوة أصدقائى . أى عار تتردى فيه !
ألا تخجل أن تكون غير مستحق لشرف
مولدك ؟ وأى حق تظنه لك فى أن
تفخر به ؟ وماذا فعلت فى العالم لتكون
رجلا نبيلا ؟ هل تعتقد أنه يكفيك
أن تحمل رتب وأسلحة النبلاء ؟ أى
فضل أن يولد الإنسان من دم نبيل إن
كان يعيش فى الرذيلة ؟ ! لا . . لا . .
الولد لا قيمة له من غير الفضيلة . وليس
لنا أن نطالب بحقنا فى مجد أجدادنا
إلا بقدر ما نحاول أن نتشبه بهم ، إن

السمعة الطيبة التى تنعكس علينا من
أعمالهم تفرض علينا أن نكون مستحقين
لها ، وأن نسير فى الطريق التى رسموها ،
وألا ننزل عن مستوى فضائلهم إذا
كنا نرغب فى أن نعتبر خير خلف
لخير سلف ، عبثا تدعى انحدارك من
أجدادك . لقد انحدرت من أصلابهم ،
لكنهم يتبرأون منك ، لأن أعمالهم
لم تنعكس عليك قط ، ولم تكسبك
فضلا ، بل هى على العكس من ذلك ،
مشعل يلقى الضوء على عارك لكى
يراه جميع الناس . واعلم أخيرا ، أن
النبيل الذى يعيش عيشة معوجة ، هو
وحش خطر على الحياة . وأن الفضيلة
هى أول عناوين النبل ، وأننى أنظر
بعين الاعتبار إلى أعمال الرجل أكثر
مما أنظر إلى الاسم الذى يوقع به ،

وأحترم ابن الشيال لو كان رجلا
فاضلا ، عن أمير عريق يعيش كما
تعيش أنت .

دون جوان : يا سيدى لو جلست ، لأخذت راحتك
فى الكلام .

دون لويس : لا يا وقح ، لا أريد أن أجلس أو أتكلم
أكثر من هذا . وأرى أن كلامى لا يؤثر
إطلاقاً فى نفسك ؛ ولكن اعلم أيها الابن
الضال ، أن العطف الأبوى قد وصل
إلى أقصى حدوده من جراء أعمالك ،
فإننى سأعرف فى أقرب مما تظن أن أضع
حدا لمفاسدك . فأصب عليك جام
غضبى ، قبل أن تصب عليك السماء
غضبها ، وأمسح بعقابى لك ما سببته لى
من خجل عندما وهبتك الحياة ؟
[يخرج] .

المنظر السادس

(دون جوان — سجاناريل)

دون جوان : [إلى ولده الذى خرج] إيه ؟ . مت فى أقرب فرصة ممكنة فهذا أحسن ما تستطيع أن تفعله . يجب أن يأخذ كل إنسان دوره . إننى أضيق ذرعاً إذ أرى بعض الآباء يعيشون قدر ما يعيش أولادهم [يجلس فى لفونيل] .

سجاناريل : آه يا سيدى أنت مخطئ . .

دون جوان : أنا مخطئ ؟

سجاناريل : سيدى . .

دون جوان : [يقف] أنا مخطىء ؟

سجاناريل : نعم يا سيدى . أنت مخطئ لأنك تحملت ما قاله لك ، وكان يجب أن تسحبه من كتفيه وتطرده خارجاً . هل رأى أحد مثل هذه الوقاحة ؟ أب يأتى ويوجه

توبيخاً لابنه ؟ ويطلب منه أن يحسن
سلوكه وأن يتذكر نشأته وأن يعيش
عيشة رجل فاضل ومئات أخرى من أمثال
هذه الحماقات ! وهل من الممكن أن
يتحمل هذا رجل مثلك يعرف جيدا
كيف يعيش ؟ أنا مندهش من صبرك ،
ولو كنت فى مكانك لطردته شر طردة
[لنفسه] أيها المتملق الملعون ، إلى أين
تنحدر بى ؟

دون جوان : ألم يجهزوا العشاء لى بعد ؟

المنظر السابع

(دون جوان ــ الفيرا ــ راجوتان ــ سجاناريل)

راجوتان : سيدى هذه سيدة محجبة تريد أن تتكلم
معك .

دون جوان : من عساها تكون ؟

سجاناريل : لا بد أن تراها .

الفيرا : [داخلة] لا تندهش يا دون جوان أن
تراني في مثل هذه الساعة ، وفي مثل هذه
الملابس ، إنه باعث ملح اضطرني إلى
هذه الزيارة ولا يحتمل ما أريد أن
أقوله لك أي تأخير . إني لم آت إلى هنا
غاضبة ذلك الغضب الذي أظهرته من
قبل . وأنت تراني متغيرة جدا عما كنت
عليه عندما التقيت بك آخر مرة . لم أعد
أنا دونا الفيرا التي كانت تستنزل عليك
غضب السماء ، والتي كانت روحها الثائرة
لا تلقى إلا وعيداً ، ولا تتنفس إلا
انتقاماً . لقد طردت السماء من نفسي
كل تلك العواطف المخزية التي كنت
أحملها لك ، وكل تلك المظاهر المضطربة
الصــاخبة لحب أثيم ، وكل تلك
المشاعر المخجلة من هذيان لا قيمة له
من جراء حب أرضي حقير ، كل ذلك
انتزعته السماء من نفسي ، ولم تترك في

قلبي من جهتك إلا شعلة مطهرة من جميع
المعاملات الحسية ، وحناناً مقدساً وحبا
بريئا من الغرض ، خالياً من الأثرة ،
لا يهتم إلا بمنفعتك .

دون جوان : [إلى سجاناريل] أنت تبكي على ما أعتقد ؟

سجاناريل : سامحني . .

دونا الفيرا : إن هذا الحب الكامل النقي هو الذى
أتى بي إلى هنا لصالحك ، لأحمل إليك
تنبيها من السماء ، وأحاول انتشالك من
من الهوة التى تنحدر إليها ، نعم يا دون
جوان إنى أعرف كل مفاسد حياتك ،
وهذه السماء نفسها التى مست رحمتها
قلبي ، وفتحت عيني على خطيئتى ، قد
أوحت إلىّ أن آتي إليك وأنذرك بأن
سيئاتك قد استنفدت رحمتها ، وأن جام
غضبها سوف ينصب عليك قريباً ، ولن
ينجيك من نقمتها إلا التوبة السريعة ؛

وربما لم يعــد أمامك إلا يوم
واحد لتستطيع إنقاذ نفسك من أكبر
المصائب جميعاً . أما من جهتى فإننى
لم أعد مرتبطة بك بأى رباط دنيوى ،
لقد تخلصت والحمد لله من جميع أفكارى
الجنونية ، وقررت أن أعتزل العالم
وألا أطلب أكثر من أن أعيش حتى أكفر
عن خطيئتى التى ارتكبتها ، وأتوب توبة
خالصة لأستحق العفو عن تعلقى الأعمى
بشهوة آثمة ، ولكننى فى عزلتى هذه
سأشعر بحزن عميق لو بلغنى أن إنسانا
أحببته حبا رقيقاً ، قد أصبح مثلا شنيعاً
لعدالة السماء . وسيكون سرورى عظيما
إذا استطعت أن أحملك على تجنب الضربة
الهائلة التى تهددك . أرجوك يا دون
جوان — وهذا آخر ما أطلبه منك —
أن تمنحنى هذا العزاء الجميل . لا تحرمنى
من مساعدتك على الخلاص ، أتوسل

إليك بدموعى ! وإذا كنت ترفض
الاستجابة لمصلحتك ، فاستجب على
الأقل لضراعتى وجنبنى هول رؤيتك
وقد حكم عليك بالعذاب الأبدى .

سجاناريل : [على حدة] يا للمسكينة !

دونا الفيرا : لقد أحببتك بحنان لا مزيد عليه ، لم يكن
هناك شىء فى العالم أعز منك على نفسى :
لقد نسيت واجبى من أجلك ، وفعلت
كل شىء إكراما لك ، وكل ما أريد أن
تكافئنى به ، هو أن تصلح حياتك وتتجنب
الضياع . أنقذ نفسك أرجوك يادون جوان ،
إما حبا لنفسك ، أو إكراماً لى . إنى
أبتهل إليك مرة أخرى بدموعى ، فإن
كانت دموع شخص أحببته فى يوم من
الأيام ليست بكافية ، فإنى أناشدك ذلك
بكل ما هو عزيز إلى قلبك .

سجاناريل : [على حدة] قلب النمر ..

دونا الفيرا : إنى راحلة بعد هذا الحديث وهذا هو كل

ما كان لدى لأقوله لك .

دون جوان : الوقت متأخر يا سيدتى ، ابق هنا وسوف نهيئ لك أحسن إقامة ممكنة .

دونا الفيرا : لا يا دون جوان . لا تحتجزنى أكثر من هذا .

دون جوان : سيدتى ! يسرنى أن نبقى هنا . أؤكد لك . .

دونا الفيرا : كلا قلت لك ، لا داعى لأن نضيع وقتنا فى أحاديث لا لزوم لها . دعنى أذهب فى الحال ولا تصر على مرافقتى إلى الباب ، وفكر فقط فى أن تستفيد من نصيحتى :

المنظر الثامن

(دون جوان — سجاناريل — اتباع .)

دون جوان : هل تعرف أننى ما زلت أحتفظ لها ببعض العاطفة حتى إننى وجدت شيئاً من المتعة فى هذا الموقف الجديد الغريب ،

فرداؤها المهمل ، وشكلها الذابل ،
ودموعها قد أيقظت فى نفسى بقية ضئيلة
من حب خمدت جذوته .

سجاناريل : هذا معناه أن حديثها لم يكن له أى
تأثير عايك !

دون جوان : إلى بالعشاء سريعاً .

سجاناريل : حسن جداً

المنظر التاسع

(لافيوليت — راجوتان — دون جو ن — سجاناريل)

دون جوان : [يجلس إلى المائدة] سجاناريل ! يجب
علينا مع ذلك أن نفكر فى إصلاح
أنفسنا .

سجاناريل : آه ! !

دون جوان : نعم ، وذمتى يجب أن نفكر فى إصلاح
أنفسنا . أمامنا عشرون أو ثلاثون سنة
نعيشها على منوال هذه الحياة الممتعة ،
ثم نفكر فى أنفسنا .

سجاناويل : أوه ! . . .

دون جوان : ما رأيك فى هذا ؟

سجاناريل : لا شىء هاك العشاء .

[يأخذ قطعة من الأطباق التى أحضرت ويضعها فى فمه] .

دون جوان : يخيل إلى أن خدك متورم ! ما هذا ؟ تكلم إذن ؟ ماذا بك ؟

سجاناريل : لا شىء .

دون جوان : دعنى أرى قليلا ؟ آه . . عندك ورم فى خدك ، بسرعة أحضروا لى مشرطاً لأفتحه . المسكين لا يمكنه أن يتحمل أكثر من هذا ، ومن الممكن أن يختنق من هذا الورم ، انتظر ، أنت ترى أن الورم كامل النضوج . آه ! . : يا لك من لص !

سجاناريل : إننى فى الحقيقة يا سيدى كنت أريد أن أتأكد إن كان طاهيك لم يكثر من وضع الملح أو الفلفل .

دون جوان : تعال ، اجلس هنا وكل ، فانى فى حاجة إليك بعد العشاء . إنك جوعان على ما أرى !

سجاناريل : [يجلس إلى المائدة] أعتقد ذلك جيداً يا سيدى فأنا لم أتناول الطعام منذ الصباح . ذق من هذا ، إنه ألذ شيء فى العالم [أحد الخدم يرفع طبق سجاناريل من أمامه قبل أن يأكل ما فيه] طبقى ! طبقى ! على مهلك من فضلك ! كم أنت ماهر يا صاحبى فى تقديم الأطباق الفارغة ! وأنت أيها الصبى لافيوليت ، أنت تعرف جيدا كيف تقدم النبيذ فى الوقت المناسب .

[بينما لافيوليت يقدم الشراب لسجاناريل يرفع خادم آخر الطبق] .

[يسمع طرق] .

دون جوان : من ذلك الذى يجرؤ على الدق هكذا ؟

سجاناريل : أى شيطان جاء لإزعاجنا أثناء تناولنا العشاء . . ؟

دون جوان : دعونى على الأقل أتناول عشائى فى هدوء ، لا تسمحوا لأحد بالدخول :

سجاناريل : دعنى أقم بهذا الأمر ، سأذهب إلى الباب بنفسى :

دون جوان : [يرى سجاناريل وقد عاد خائفا] ماذا دهاك ؟ من هناك ؟

سجاناريل : [يومئ برأسه كما فعل التمثال] الـ . . هو الذى هناك !

دون جوان : لنذهب ونرى ، ولنظهر أنه لا شيء يستطيع أن يخيفنى !

سجاناريل : آه ياسجاناريل المسكين ، أين تخفى نفسك ؟

المنظر العاشر

(دون جوان ــ التمثال . . [تمثال الحاكم الذى يجلس
إلى المائدة] سجاناريل ــ حاشية)

دون جوان : احضروا كرسيا وجهزوا مكانا على المائدة بسرعة [ثم يقول لسجاناريل] هيا يا سجاناريل ، اجلس إلى المائدة ؛

سجاناريل : سيدى ! لم أعد أشعر بجوع ؛

دون جوان : اجلس هنا قلت لك . إلىّ بالشراب ؛ فى صحة الحاكم : إننى أرفع كأسى لك يا سجاناريل ! فليقدم له النبيذ ؛

سجاناريل : سيدى لا أشعر بالعطش .

دون جوان : اشرب وغن أغنيتك احتفالا بالحاكم ؛

سجاناريل : أنا مزكوم يا سيدى ؛

دون جوان : لا يهم ! هيا غن ! وأنتم هناك أيضا تعالوا وصاحبوه فى الغناء ؛

التمثال : كفى يا دون جوان ؛ إننى أدعوك أن

تأتى للعشاء معى غدا فهل تجرؤ على المجئ ؟

دون جوان : نعم سأحضر ، ولن يكون برفقتى سوى سجاناريل .

سجاناريل : أشكرك يا سيدى . إن غدا يوم صيامى .

دون جوان : [لسجاناريل] خذ هذا المشعل .

التمثال : لسنا فى حاجة إلى ضوء عندما تقودنا السماء .

[ستــار]

الفصل الخامس

المنظر الأول

(دون لويس ــ دون جوان ــ سجاناريل .)

دون لويس : كيف يا بنى ؟ هل من الممكن أن تكون رحمة السماء قد استجابت لدعواتى ؟ وهل ما قلته لى صحيح حقاً ؟ وهلا تخدعنى بأمل كاذب ؟ وهل لى أن أثق حقا فى تلك البداية المفاجئة العجيبة ؟

دون جوان : [منافقاً] نعم ، وها أنت ذا ترانى وقد تبت عن جميع ذنوبى لم أعد منذ الليلة الماضية نفس الإنسان ، لقد غيرت السماء نفسى تغييراً مفاجئاً سوف يدهش له جميع الناس ! لقد أثرت فى روحى وفتحت عينى حتى إنى أصبحت أنظر باشمئزاز

إلى عمَى البصيرة الذى كنت أتردى فيه »
وإلى الفوضى الآثمة التى استولت على
حياتى الماضية ، إنى استعيد فى ذاكرتى
كل تلك المخازى ، وأندهش كيف أن
السماء قد استطاعت أن تتحملها طوال هذه
المدة ، وكيف أنها لم تصبّ ضربات
عدالتها على رأسى أكثر من عشرين مرة ؟
إنى أرى الآن فضلها ورحمتها فى عدم
معاقبتها إياى على جرائمى ، وأريد أن
أستفيد من ذلك ، وأعلن للعالم أجمع التغيير
المفاجئ فى طريقة حياتى ، فأصلح بذلك
فضائح أخطائى السابقة . وأحصل
ما أستطعت على مغفرة شاملة من السماء :
هذا هو ما سأقوم بعمله منذ الآن :
وأرجوك يا أبى أن تساعدنى على تحقيق
هذه الغايات ، وأن تختار لى ناصحا أمينا
حتى أستطيع أن أسير آمنا تحت إرشاده
فى الطريق القويم .

دون لويس : آه يا بنى ، ما أسهل أن يسترد الإنسان العطف الأبوى ، ما أسرع أن تتلاشى سيئات الابن تحت تأثير أول كلمة توبة يفوه بها ؟ لقد محا ما قلته الآن من ذاكرتى كل الهموم التى سببتها لى ، آه ، يا للسعادة التى غمرتنى بها ! وأعترف لك أننى لم أعد أسيطر على مشاعرى ، فأنا أذرف دموع الفرح ، لأن جميع دعواتى قد استجيبت ، لم يعد لى شىء منذ الآن أطلبه من السماء قبلنى يا بنى ! وأتضرع إليك أن تستمر فى نواياك المحمودة . أما من جهتى فسأنقل هذا الخبر السعيد لوالدتك فى الحال ، وأجعلها تشاركنى السعادة التى أشعر بها ، وأتوجه بالشكر للسماء ، على النوايا الطيبــة التى تكرمت وألهمتك إياها .

المنظر – الثانى

(دون جوان – سجاناريل)

سجاناريل : آه يا سيدى ! لكم أنا مسرور برؤيتك وقد اهتديت إلى الطريق القويم . كنت أنتظر ذلك منذ زمن بعيد . والآن ، شكرا للسماء ، فقد تحققت كل آمالى :

دون جوان : لينزل بك الطاعون أيها الأبله !

سجاناريل : كيف ! الأبله ؟

دون جوان : ماذا ؟ هل أخذت كلماتى على علاتها ؟ وهل تظن أن ما نطق به لسانى كان يعبر عما فى قلبى .

سجاناريل : ماذا ؟ أليس صحيحاً أنك ! أأنت . ؟ أوه ! يا للرجل ! يا للرجل !

درن جوان : لا ، لا ، أنا لم أتغير قط ، ومشاعرى هى هى لم تتغير :

سجاناريل : ألم تؤمن بتلك المعجزة العجيبة ، معجزة
ذلك التمثال الذى تحرّك وتكلم ؟

دون جوان : هناك حقا شيء ما فى هذا الموضوع
لا أفهمه ! ولكن مهما كان الأمر ،
فإن هذا لا يمكن أن يغير فكرى أو
يزلزل روحى . وإذا كنت قد قلت
إننى أريد أن أعدل سلوكى وأبدأ حياة
مثالية ، فقد كان ذلك مجرد مرونة
سياسية ، خطة نافعة ، نفاق ضرورى ،
علىّ أن أتظاهر به لكى أستفيد من
أب أجدنى فى حاجة إلى مساعدته ،
حتى يجعلنى ذلك فى مأمن من المجتمع ،
ومئات المواقف التى يمكن أن تحدث لى .

أريدك أمينا على سرى فى هذا الموضوع
يا سجاناريل . وإنى لأشعر بالراحة
إذ أجد لى شاهدا يرى أعماق نفسى ،
ويقف على الدوافع الحقيقية التى

تضطرنى أن أفعل مثل هذه الأشياء .

سجاناريل : كيف أنت لا تؤمن بأى شىء ، وتريد مع ذلك أن تبدو أمام الناس رجلا صالحاً ؟ .

دون جوان : ولم لا ؟ هناك كثيرون مثلى يمارسون هذه المهنة ، ويستعملون نفس القناع ليخدعوا الناس .

سجاناريل : آه ! يا للرجل ! يا للرجل !

دون جوان : لم يعد هناك الآن ما يخجل فى هـــذا السلوك : فالنفاق « مودة » العصر ، وكل الرذائل العصرية تعتبر فضائل . إن دور الرجل الصالح التقى ، هو أحسن الأدوار التى يمكن أن تقوم بتمثيلها اليوم . ومهنة المنافق قد أصبحت لها مزايا عجيبة ، إنها فن يستطيع به المخادع أن ينعم بكل احترام ، ومهما اكتشف النـــاس أمر النفاق فإنهم

لا يجرؤون على أن يقولوا شيئاً ضده .

كل رذائل البشرية الأخرى عرضة للانتقاد ، ويستطيع كل إنسان أن يهاجمها جهارا ، ولكن النفاق ، رذيلة لها مزاياها ، فهى تقفل بيدها السحرية فم كل إنسان ، وتتمتع بحصانة مطلقة . إن النفاق يربط جميع من يمارسونه برباط متين ، فإذا هوجم أحد المنافقين ، تكاتف معه الآخرون لحمايته ، والمنافقون يحيطون به دائماً ، بكل رجل اشتهر بطيبته ونزاهته ويوقعونه فى شراكهم ، بينما يقدمون مساعداتهم العمياء لكل من سلك طريقهم . وكم رأيت من رجال حاولوا إخفاء مفاسد شبابهم بهذه الطريقة ، وجعلوا من الدين رداء يسترون تحتـــه حياة تتيح لهم الانطلاق فى الشر إلى أبعد مدى ، ومهما تنبه الناس لمكائدهم ، أو عرفوهم

على حقيقتهم ، فإن مكانتهم بين الناس
لا تتزعزع ، يكفى أن يحنوا رؤوسهم
مرة أو مرتين ، أو يتأوهوا آهة ندم
وتوبة ، أو يتجهوا ضارعين بأبصارهم
إلى السماء ، حتى يستعيدوا بذلك ثقة
الناس فيهم . وأنا أيضا أريد أن أحمى
نفسى تحت ستر هذا الملجأ الأمين ،
فأضمن بذلك الأمان لمصالحى ، لن
أتخلى عن المتع العذبة التى تعودتها ،
ولكنى سأحرص على أن أستمتع فى
الخفاء ، وأسلى نفسى فى حذر .
وإذا اكتشف أمرى ، فلن أحرك
ساكنا ، لأن جميع أعضاء جمعية
المنافقين سيهتمون بى ، ويدافعون
عنى عند الجميع . هذا هو بالاختصار
الطريق الذى يجعلنى أفعل ما يحلو لى
دون عقاب . سأفرض نفسى رقيبا على
أعمال الآخرين : وأصم بالشر أفعال

الجميع ، ولا أعطى أية فكرة حسنة
إلا عن نفسى . وإذا حدث أن جرح
إنسان شعورى أقل جرح ، فلن أصفح
عنه ، بل سأحتفظ له بعداء لا يلين :
سأجعل من نفسى منتقما باسم السماء ،
وباسم هذا الادعاء اليسير ، أهاجم
أعدائى : فأتهمهم بالكفر ، وأثير
ضدهم المتعصبين وأهل الفضول ،
وهؤلاء ، دون معرفة السبب سوف
يفضحونهم بين الناس ، ويغمرونهم
بالإهانات ، ويحكمون عليهم جهارا
بالهلاك الأبدى . هكذا يجب على الإنسان
أن يستفيد من ضعف البشرية ، هكذا
يجب على الرجل الحكيم أن يتأقلم
مع رذائل عصره :

سجاناريل : يا للسماء ، ماذا أسمع ؟ لم يكن ينقصك
إلا أن تكون منافقاً ، حتى تكتمل من

جميع الوجوه ، وهذه أكبر المنكرات .
سيدى ! إن هذه الشناعة الأخيرة تثيرنى ،
ولا أستطيع أن أمنع نفسى عن الكلام !
افعل بى كل ما يبدو لك . اضربنى ،
اكسر رأسى ، اقتلنى إذا أردت ، فلابد
أن أفرغ ما فى صدرى وأقول لك ما يجب
أن أقوله كخادم مخلص : اعلم يا سيدى
أن الحجر الذى يدور دائماً لا بد أن يكسر
فى النهاية . وقد قال مؤلف نسيت اسمه
قولا حسنا جدا ، وهو : إن الإنسان فى
هذا العالم مثل العصفور على الغصن ،
والغصن مربوط إلى الشجرة ، والمرتبط
بالشجرة ، يتبع قوانين عادلة ، والقوانين
العادلة أحسن من الأقوال الجميلة ،
والأقوال الجميلة ، توجد فى القصور ،
وفى القصور يوجد المتملقون ، والمتملقون
يتبعون آخر طراز ، وآخر طراز يأتى

وليد المخيلة ، والمخيلة خاصة من خواص
الروح ، والروح هى التى تعطى الحياة ،
والحياة تنتهى بالموت والموت يجعلنا نفكر
فى السماء ، والسماء فوق الأرض ،
والأرض ليست البحر ، والبحر خاضع
للزوابع ، والزوابع تعصف بالمراكب ،
والمراكب فى حاجة إلى ملاح ماهر ،
والملاح الماهر حذر ، والحذر ليس من
شيمة الشبان ، وعلى الشبان أن يطيعوا
الشيوخ ، والشيوخ يحبون الثروة ، والثروة
تعمل الأغنياء ، والأغنياء ليسوا فقراء ،
والفقراء فى أشد الحاجة ، والحاجة ليس
لها قانون والذى ليس له قانون ، يعيش
كالحيوان المفترس ، وعلى ذلك فسوف
يكون مصيرك إلى الشياطين ، ويقضى
عليك بالهلاك الأبدى .

دون جوان : يا للتفكير السديد ؟ !

سجاناريل : إذا لم تتب إلى رشدك بعد كل ما قلت

فالويل لك من السماء .

المنظر الثالث

(دون كارلوس — دون جوان — سجاناريل)

دون كارلوس : دون جوان ! لقد وجدتك فى الوقت

المناسب ، ويسرنى جدا أن أتكلم معك —

تحاشيا لحرج الذهاب إلى منزلك — وحتى

أسألك عن نواياك . أنت تعرف أن

هذا الأمر يختص بى ، وأننى أخذته

أمامك على عاتقى . من جهتى أتمنى من

كل قلبي أن تسوى الأمور بطريقة

ودية . وأنا لا أتأخر فى عمل أى شىء حتى

أجعلك توافق على هذه الطريقة ، وحتى

أراك تعلن للناس زواجك من أختى .

دون جوان : [بنغمة الرياء] وا أسفاه ! كنت أتمنى

من كل قلبى أن أحقق لك هذه الترضية التى تتمناها ، ولكن السماء تعارض فى ذلك صراحة ، فقد أوحت إلى أن أغير حياتى ، وليس لدى أى تفكير الآن ، إلا فى أن أتخلى عن كل الروابط الأرضية ، وأتجرد بأسرع ما أستطيع من كل العلاقات الدنيوية الباطلة ، وأكفر بعيشة متقشفة صارمة عن كل الرذائل التى دفعنى إليها طيش الشباب .

دون كارلوس : نيتك هذه يا دون جوان لا تتعارض أبدا مع ما أقول ، فمعاشرة زوجة شرعية تتفق تماماً مع النوايا الطيبة التى أوحت إليك بها السماء .

دون جوان : وا أسفاه ! لقد اتخذت أختك نفسها موقفا مماثلا وقررت الاعتزال . فقد مستنا الهداية فى وقت واحد .

دون كارلوس : إن اعتزالها لا يمكن أن يرضينا ، فربما
يعزى ذلك إلى الإهانة التى ألحقتها
بها وبأسرتنا ، بينما شرفنا يتطلب أن
تعترف بها زوجة لك .

دون جوان : أؤكد لك أن هذا لا يمكن أن يحدث ،
لقد كنت أتمنى هذا الزواج من كل
قلبي ، لكنى استشرت السماء اليوم فى
هذا الموضوع ، فسمعت صوتاً قال لى
إنه لا ينبغى لى أن أفكر فى أختك ،
وأننى لن أحصل على خلاص ؟ نفسى
طالما كنت معها .

دون كارلوس : وهل تظن يا دون جوان أنك تستطيع أن
تغرر بنا بهذه الاعتذارات الرقيقة ؟

دون جوان : إننى أستجيب لصوت السماء .

دون كارلوس : وهل تظن أنى سأكتفى بمثل هذه الخطب
والمواعظ ؟

دون جوان : هذه إرادة السماء .

دون كارلوس : ماذا .. وهل تظن أنك بعد أن أخرجت

أختى من الدير ، تستطيع أن تهجرها
بعد ذلك ؟

دون جوان : هذا أمر السماء .

دون كارلوس : وهل نتحمل هذه الوصمة فى شرف
عائلتنا ؟

دون جوان : اطلب الترضية من السماء ..

دون كارلوس : ماذا ؟ السماء دائماً ؟

دون جوان : هذا ترتيب السماء ..

دون كارلوس : كفى يا دون جوان ، إننى أفهمك .
لن أشتبك معك هنا ، فالمكان غير مناسب .
ولكنى عما قريب سأعرف كيف أجدك .

دون جوان : افعل ما شئت فأنت تعلم أنه لا تنقصنى
الشجاعة وإننى أعرف كيف أستخدم
سيفى وقت اللزوم . سأذهب حالا إلى ذلك
الشارع الضيق المنعزل الذى يؤدى إلى
الدير الكبير . ولكن اعلم أنه ليس أنا الذى
يريد المبارزة ، فالسماء تحرم على مجرد

التفكير في ذلك ، ولكن إذا هاجمتني
فسوف ترى ما سيحدث لنا .

دون كارلوس : سوف نرى .. سوف نرى بكل تأكيد .

المنظر الرابع

(دون جوان — سجاناريل .)

سجاناريل : سيدى ؟ أى أسلوب من أساليب الجن اتخذته ؟ إنه أسوء من كل الأساليب الأخرى . إنى أفضل كثيراً ما كنت عليه من قبل ، فقد كنت آمل دائماً فى خلاصك ، أما الآن ، فقد يئست من ذلك . وأعتقد أن السماء التى تحملتك حتى الآن ، لن تتحمل أبداً هذه الفظاعة الأخيرة .

دون جوان : هيا ! هيا ! إن السماء ليست بالدقة التى تتخيلها ، وإذا كان الناس فى كل مرة . . .

سجاناريل : [يرى الشبح] آه . يا سيدى . إن السماء تكلمك وهذا إنذار منها .

دون جوان : إن أرادت السماء إنذارى وشاءت أن أستمع إليها ، فيجب عليها أن تتكلم بصوت أوضح .

المنظر الخامس

(الشبح . [في هيئة إمرأة محجبة] — دون جوان — سجاناريل)

الشبح : لم يعد أمام دون جوان إلا دقيقة واحدة ليتمكن من اكتساب مغفرة السماء . فإن لم يتطهر بالتوبة الآن فهلاكه مؤكد .

سجاناريل : هل سمعت يا سيدى ؟

دون جوان : من الذى يجرؤ على التفوه بهذه الأقوال ؟ يخيل إلى أننى أعرف هذا الصوت .

سجاناريل : آه يا سيدى ، إنه شبح ! إننى أعرفه من مشيته .

دون جوان : شبح ، أو طيف ، أو شيطان ، أريد أن أرى من يكون .

[الشبح يغير شكله ويمثل الزمن والمنجل فى يده]

سجاناريل : يا للسماء ! . . انظر يا سيدى كيف يتغير شكله ؟

دون جوان : لا . لا . لا شىء يستطيع أن يخيفنى . وسوف اختبر بسيفى إن كان هذا جسداً أو روحا [الشبح يختفى فى اللحظة التى يريد فيها دون جوان أن يضربه]

سجاناريل : آه يا سيدى ثب إلى رشدك وآمن بكل هذه البراهين . ألق بنفسك سريعاً فى أحضان التوبة .

دون جوان : لا ، لا ، ليحدث ما يحدث . لن يقال أبداً — ومهما حدث — إنى من التائبين : هيا اتبعنى .

المنظر السادس

(التمثال – دون جوان – سجاناريل)

التمثال : قف يا دون جوان ، لقد وعدتنى بالأمس أن تأتى لتناول الطعام معى .

دون جوان : نعم ولكن أين ينبغى أن تذهب ؟

التمثال : أعطنى يدك .

دون جوان : هاك يدى .

التمثال : إن الذين يصرون على شرورهم يا دون جوان لهم نهاية مشئومة ، والذين يرفضون رحمة السماء سينزل عليهم غضبها .

دون جوان : يا للسماء ! ما الذى أشعر به ؟.. . إن ناراً خفية تحرقنى ، ولم أعد أستطيع

الاحتمال . . إن جسمى جميعه أصبح
أتونا مشتعلا من النـــار . . آه !

[تسقط الصاعقة بصوت كبير وينزل البرق على
دون جوان وتنشق الأرض فتبتلعه وتخرج نيران
كثيرة من المكان الذى سقط فيه] .

سجاناريل : [وحده] آه ! . . ها هو ذا ، قد أرضى
موته الجميع : السماء التى جدف بها ،
القوانين التى خرقها ، الفتيات اللاتى
أغراهن ، الأسر التى أهدر كرامتها ،
الآباء الذين سبب لهم العار والشنار ،
والزوجات اللاتى ضللهن ، والأزواج
الذين قادهم إلى اليأس . كل الناس
راضون ، ولا أحد غيرى يشعر بالتعاسة
وسوء الحظ ، فكل ما نلته من جزاء
مقابل خدمتى طوال سنوات عديدة هو أن

أرى بعينى سيدى يعاقب أفظع عقاب
فى العالم .

[يعطس . . . وهو ينصرف متعاطيـــا النشوق]

[ستار النهاية]